BABIR International Journal for Human Sciences

Volume 1, Issue 1, January 2019, p. 111-134

SECURITY STRATEGY AND INTELLIGENCE FIQH IN THE LIGHT OF THE LIFE OF THE PROPHET

Dr. Mohamed Kalou

Abstract

Gathering intelligence is the first act of human kind. Humans searched for knowledge of the available place of water and to continue his/her life. After humans started living in communities they sent people to collect intelligence about neighboring communities in order to find out their way of living, to protect themselves, or to attack them or to make alliance with them. The fiqh of intelligence in Islam is old as itself since it appeared with the start of Islam. Islam was born in secrecy then the Prophet (pbuh) developed innovative ways unknown to Arabs at that time through strategic security planning. These innovative ways served the security of the state and surprised the enemy by sending written letters and digging ditches which destroyed their morale. The life of the Prophet (pbuh) shows that Islam emphasized the security area with moral values and ethics since the security ensures that people are in peace with their religions, lives, possessions and dignities. The intelligence service is a legal means to monitor the movements of the enemy and find out its plans and make them unsuccessful.

Key Words: Intelligence fiqh, security strategy, written letters, security planning, innovative methods

Article History

Submitted: 01.11.2018

Accepted: 28.01.2019

Published Online: 30.01.2019

الاستراتيجية الأمنية وفقه المخابرات في ضوء السيرة النبوية

د. محمد محمود كالو[1]

ملخص:
الاستخبار هو أول عمل قام به الإنسان، فقد قام بالاستطلاع بحثًا عن الأرض المناسبة والماء لاستمرار بقائه، وبعدما أصبح يعيش في مجموعات بشرية، كان يرسل أفرادًا لاستطلاع المعلومات وجمعها عن مجموعات بشرية أخرى تجاوره لمعرفة طريقة حياتها، لحماية نفسه، أو تمهيدًا للاعتداء عليها، أو للتحالف معها.
وفقه المخابرات في الإسلام قديمة قِدم الإسلام نفسه إذ ظهرت مع ظهوره، فمع أول بزوغ شمس الرسالة ظهرت في سرّية وتكتُّم، ثم لجأ النبي صلى الله عليه وسلم من خلال التخطيط الأمني الاستراتيجي إلى أساليب مبتكرة لم يكن معروفاً لدى العرب من قبل، والتي تخدم أمن الدولة، وتفاجئ العدو بما لا يتوقَّعه، فابتكار الرسائل المكتومة، ومفاجأة العدو بالخندق مما أذهل العدو وحطَّم معنوياته.
والسيرة النبوية العطرة أظهرت أن الإسلام اهتم بالجانب الأمني؛ اهتمامَه بالقيم والأخلاق، إذ الأمن يعني ما يطمئنُّ به الناس على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم، فجهاز الأمن من الوسائل المشروعة حيث يرصد تحركات العدو، ويكشف مخططاتهم ويفشلها.
كلمات مفتاحية: فقه المخابرات، الاستراتيجية الأمنية، الرسائل المكتومة، التخطيط الأمني، أساليب مبتكرة.

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:
فإن الأمن من أهم وأكبر النعم التي أنعم الله تعالى بها على البشر، وهو من أولى اهتمامات الدول والشعوب في العالم؛ لأنها تمس استقرار الفرد والمجتمع والدولة، وعدم الأمن يزعزع كيان الأمم، لما له من صلة قوية بهوية الأمة وفكرها وتراثها وقيمها وتاريخها، بل ومستقبلها وآمالها وأحلامها.
ومنذ اللحظة الأولى أرادت الملائكة أن تطمئن على سلامة الأرض من الفساد، وصيانة الأمن فيها، وعلى أن وجود الإنسان لن يكون إخلالاً بذلك النظام المتناسق الذي ينظم الكون كله، والذي ينبغي للإنسان أن يلتزم به ويسير على وفقه، فسألت الملائكة ربها خائفة مشفقة من هذا الإنسان: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:30].
لقد خشيت الملائكة من ضياع الأمن وانتشار الفساد والظلم بسفك الدماء والإفساد في الأرض بكل ما يعنيه من جرائم واعتداءات.
إن أصل عمل الاستخبارات والعيون لحفظ الأمن والأمان واطمئنان الناس، وهو عمل له مواصفات وواجبات ومهام خاصة، كما له منافع كثيرة، وقد أدركت هذه الأهمية كل حضارات العالم القديم، لذلك لا يعتبر عمل العيون عملاً وعلمًا حديثاً، بل تعود جذوره إلى آلاف السنين.
ولم يكن العالم الإسلامي استثناء من حيث اعتماده على أجهزة المخابرات، فمنذ القدم كان للمُخبرين دور فعَّال في توفير المعلومة للحاكِم، ومع تطوّر الإنسانية تحوّل أولئك الأفراد إلى أجهزة ومُؤسّسات، طالما احتفظت لنفسها بدرجات كبيرة من الغموض، وأشاعت في النّاس الخوف والرعب بحكم تصرّفاتها.
إلا أن مصطلحات كثيرة هجرت معناها الحقيقي وأصبحت تُعرف بأضدادها، مثل (الاستعمار) الذي يعطي معنى البناء، والتطوّر، والتوسّع والرقي، ولكن كلمة الاستعمار عندما تُذكر الآن ينصرف الذهن مباشرة إلى الدمار والخراب والجهل والظلام.
كذلك (رجل الأمن) عندما يُذكر اليوم يقفز إلى الذهن معاني الخوف، والعنف، والظلم، والقهر، والقتل، والدماء، والإهانة والاعتداء على كرامة الناس، ونهش الأعراض وغير ذلك.

[1]- أستاذ مشارك في جامعة أديامان، كلية العلوم الإسلامية، البريد الإلكتروني: mkalu@adiyaman.edu.tr

أمّا عند ذكر (رجل المخابرات)، فبدلاً من أن تشعر بالراحة والطمأنينة إلى جنبه، تحسُّ بالقلق والاضطراب، وإعدام الحرية، فتراك تتلوّى ألماً ورعباً مادام قريباً منك.
هذه المصطلحات وأمثالها دخلت في ضبابية المفاهيم، فأخذ الناس ينفرون من العمل الأمني والمخابراتي؛ لأنّهم يرونه عملاً لا ينسجم مع القيم والأخلاق، وينطلق من المبدأ السيئ الصيت (الغاية تبرّر الوسيلة)، دون معيار أخلاقي، أو وازع ديني، وعادة ما يكون القائمون عليه أناس قد نزعت الرحمة والشفقة من قلوبهم، فلا توجد في حياتهم إلاّ الشدة والقسوة والبطش وسوء المعاملة، مما جعل أكثر المسلمين يعدونه أمراً لا ينبغي نسبته إلى الإسلام، لما يقترن هذا العلم من الظلم والبطش والتسلط المقيت.
لذا تحوّل العمل الأمني والمخابراتي من وسيلة يستعين بها الإنسان لتوفير الأمن والاستقرار له ولمجتمعه؛ إلى خطرٍ قد يداهمه في أيّة لحظةٍ فيفقده حرّيته واستقراره، بل وربّما حياته أيضاً.
هذا البحث سيتناول الاستراتيجية الأمنية وفقه المخابرات، ويبرز التأصيل الشرعي للقواعد والأسس التي أرساها النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المجال الأمني، عسى أن يسهم في حل بعض المشكلات التي تواجه المجتمعات المسلمة.

أولاً: أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في عدة أمور:

1- تأتي أهمية هذه الدراسة كونها تناقش موضوعاً هاماً تتعلق بالأمن وفقه المخابرات في ضوء السيرة النبوية ومدى حاجة الإنسان والمجتمعات إليه.
2- كما تظهر التأصيل الشرعي للأسس الأساسية التي أرساها النبي صلى الله عليه وسلم في المجال الأمني.
3- وتسهم في حل بعض المعضلات الأمنية التي تواجه المجتمعات المسلمة.
4- كما تفتح الآفاق للمتخصصين للولوج في استنباط الأصول الشرعية في جميع مناحي الحياة من خلال البحث والاستقصاء في السيرة النبوية العطرة.

ثانياً: أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

1- التعرف على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم التي تناولت الاستراتيجية الأمنية وفقه المخابرات.
2- بيان مفاهيم الأمن والاستخبارات وأهميتهما لدى القادة والجند والمجتمع.
3- الوقوف على التجربة الأمنية الفريدة في السيرة النبوية الشريفة والاقتداء به في إدارة الأزمات وسياسة التعامل مع الآخرين.

ثالثاً: منهج البحث:

سار الباحث على المنهج الاستقرائي في الاستدلال لمباحث الدراسة للتعرف أكثر على السيرة النبوية العطرة في مجال الأمن وفقه الاستخبارات مع الاستفادة من المنهج التحليلي في استنباط المعاني والمفاهيم والقواعد التي تشير إلى الموضوع، مستعيناً بالمراجع والمصادر العلمية المتخصصة.

رابعاً: الدراسات السابقة:

1- **تاريخ المخابرات الإسلامية عبر العصور**، تأليف: كرم حلمي فرحات، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الأولى، 1428هـ 2007م.
2- **تاريخ المخابرات، من الفراعنة حتى وكالة الأمن القومي الأميركية** (NSA)، تأليف المؤرخ الألماني وولفغانغ كريغر، نقله إلى العربية العراقي الدكتور عدنان عباس علي.

3- **فقه الأمن والمخابرات**، د. إبراهيم علي محمد أحمد، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، 1427هـ 2006م.
4- **مفاهيم استخبارية قرآنية**، تأليف: محمد نور الدين شحادة، مكتبة الرائد العلمية، عمان، 1999م.
5- **دروس في الكتمان**، الرسول القائد، العسكرية العربية الإسلامية: عقيدة، وتاريخاً، وقادة، وتراثاً، تأليف: محمود شيث خطاب، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
6- **الأمن والمخابرات نظرة إسلامية**، تأليف: علي نميري، الدار السودانية للكتب، الطبعة الأولى 1996م.
7- **العيون والجواسيس في الدولة الإسلامية منذ عهد الرسول ρ إلى نهاية العصر الأموي**، تأليف: رعد محمود البرهاوي، الكتاب الثقافي، إربد، الأردن، 2005م.
8- **العيون والجواسيس في بلاد الشام في العهدين الزنكي والأيوبي**، فتحي أحمد محمد حماد، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بغزة، 1432هـ 2011م.
9- **الأمن العسكري في السنة النبوية، دراسة موضوعية تحليلية**، رسالة ماجستير، نهاد يوسف الثلاثيني، الجامعة الإسلامية بغزة، 1428هـ 2007م.

وغيرها من الدراسات التي أغنت هذا البحث، فقد استفدت منهم جميعاً.

خامساً: خطة البحث:

هذه الدراسة تتناول الاستراتيجية الأمنية وفقه المخابرات في ضوء السيرة النبوية، وتتكون بعد هذه المقدمة على ثلاثة فصول وخاتمة شاملة أهم النتائج على الشكل التالي:

الفصل الأول: نبذة عن نشأة الاستخبارات.
الفصل الثاني: مفهوم جهاز المخابرات والأمن.
الفصل الثالث: فقه المخابرات في ضوء السيرة النبوية، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: المهارات الاستخبارية في العهد المكي.
المطلب الثاني: المهارات الاستخبارية في العهد المدني.
الخاتمة: وهي شاملة لأهم النتائج.

الفصل الأول: نبذة عن نشأة الاستخبارات

يعتبر المؤرخون أن الاستخبار هو أول عمل قام به **الإنسان** منذ آلاف السنين، فهو قام بالاستطلاع والاستكشاف بحثًا عن الأرض المناسبة والماء، أو الصيد لاستمرار بقائه، وبعدما أصبح يعيش في مجموعات بشرية، كان يرسل أفرادًا لاستطلاع المعلومات وجمعها عن مجموعات بشرية أخرى تجاوره لمعرفة طريقة حياتها، أو توجهاتها، أو نواياها، لحماية نفسه، أو تمهيدًا للاعتداء عليها، أو للتحالف معها.

وورد في «**التوراة**» أن نبي الله موسى عليه السلام عندما خرج من مصر ووصل إلى شمال سيناء، جمع رجاله واختار منهم سبعين رجلًا؛ وطلب منهم التوجه إلى أرض كنعان واستطلاعها وجمع المعلومات عنها، قائلًا لهم: «اصْعَدُوا مِنْ هُنَا إِلَى الْجَنُوبِ وَاطْلَعُوا إِلَى الْجَبَلِ، وَانْظُرُوا الأَرْضَ، مَا هِيَ: وَالشَّعْبَ السَّاكِنَ فِيهَا، أَقَوِيٌّ هُوَ أَمْ ضَعِيفٌ؟ قَلِيلٌ أَمْ كَثِيرٌ؟ وَكَيْفَ هِيَ الأَرْضُ الَّتِي هُوَ سَاكِنٌ فِيهَا، أَجَيِّدَةٌ أَمْ رَدِيئَةٌ؟ وَمَا هِيَ الْمُدُنُ الَّتِي هُوَ سَاكِنٌ فِيهَا، أَمُخَيَّمَاتٌ أَمْ حُصُونٌ؟ وَكَيْفَ هِيَ الأَرْضُ، أَسَمِينَةٌ أَمْ هَزِيلَةٌ؟ أَفِيهَا شَجَرٌ أَمْ لاَ؟ وَتَشَدَّدُوا فَخُذُوا مِنْ ثَمَرِ الأَرْضِ»[2].

وعاد عيون نبي الله موسى ليقولوا: «قَدْ ذَهَبْنَا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرْسَلْتَنَا إِلَيْهَا، وَحَقًّا إِنَّهَا تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلًا، وَهذَا ثَمَرُهَا، غَيْرَ أَنَّ الشَّعْبَ السَّاكِنَ فِي الأَرْضِ مُعْتَزٌّ، وَالْمُدُنُ حَصِينَةٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا»[3].

[2]- **سفر العدد**، الإصحاح: 13 /17-20.
[3]- **سفر العدد**، الإصحاح: 13 /27-28.

كما ورد في قصص **القرآن** أن هدهد نبي الله سليمان عليه السلام ذهب يستطلع الجوار، ولما عاد إليه أتاه بنبأ عن مملكة سبأ، قال الله تعالى: ﴿**فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**﴾ [النمل:22].

ويرى بعض المؤرخين والباحثين أنّ **الفراعنة القدماء**، كانوا أول من مارس أعمال المخابرات والتجسس في الحرب، وبخاصة في عهد الفرعون «تحتمس الثالث» وقائد جيشه «توت»، أثناء حصاره بلدة يافا الساحلية، فقد أدخل مجموعة من جنده إلى ميناء البلدة داخل الأسوار في أكياس القمح، لإشاعة الفوضى والارتباك في صفوف السكان وفتح ما يمكن من أبواب الحصن للجيش المرابط خارجها.

وكان **للمصريين القدماء** بصمة واضحة في التأسيس لعمل العيون والجواسيس، "فقد كانت لديهم وحدات متخصصة للتحقيق مع أسرى العدو واستجوابهم، ثم إرسال نتائج تلك التحقيقات إلى القيادة، كما عرفوا الشيفرة، حيث كانوا يكتبونها بلغتهم القديمة الهيروغليفية، وقد عثر على مخطوط هيروغليفي يتحدث عن نتائج التحقيق مع أسرى العدو، يعود إلى سنة 1900 ق.م"[4].

وعرف **العراقيون القدماء** "عمل العيون والجواسيس وبرعوا فيه، ففي الدولة الأشورية كان العيون والجواسيس موظفين في الدولة، وُظِّفوا لهذا الغرَض"[5].

ويُعدُّ كتاب (فن الحرب) للقائد **الصيني** صون توزو، الذي يعود إلى القرن السادس ق.م، من أقدم الكتب التي تناولت فن الحرب بصورة عامة، وفن التجسس بصورة خاصة، حيث ورد في الكتاب ضرورة أن يمتلك القائد الناجح معلومات مسبقة عن العدو وأوضاعه حتى يحقق النصر، وجمع هذه المعلومات لا يتأتَّى إلا عن طريق الجواسيس، الذين بقسمهم إلى خمسة أقسام هم: مواطنون من رعايا العدو، عملاء في مركز داخلي، عملاء يخدمون العدو ويخدمون الوطن (عميل مزدوج)، عملاء يمكن الاستغناء عنهم، أو التخلص منهم بعد استعمالهم، عملاء مهمتهم طويلة الأمد، وعلى المسئول عن التجسس أن يستخدم كل الأنواع سابقة الذكر في آن واحد دون أن يعلم كل واحد منهم المهام التي يقوم بها الآخر، ولا طريقة عمله، ولا مجال نشاطه، وقد سموا هذه الفروع الخمسة بـ (الستار المقدَّس)[6].

واهتم **البيزنطيون** بجمع المعلومات عن أعدائهم عبر الاعتماد على شبكة من العيون والجواسيس، وعرف عن الإمبراطور هرقل، المعاصر للبعثة النبوية، استخدامه لهم في حربه ضد الفرس الساسانيين، وكانوا هم أحد أسباب انتصاره[7].

واعتمد **الفرس** في إمبراطوريتهم الساسانية على الجواسيس، من صفوف المدنيين، أكثر من اعتمادهم على الطبقة العسكرية[8].

وعرف **العرب** العيون قبل الإسلام والجواسيس، ولكن عملهم لم يقتصر على الجانب العسكري فقط، بل استخدم العيون والجواسيس للأغراض الاقتصادية، حيث كان على العيون أن تستطلع المنازل، والمراعي، والمياه، لا سيما في أوقات الجدب، وانحباس المطر، وكانوا يسمونه **الرائد**[9].

وقد تعددت التسميات لعمل العيون في العصور السابقة، فتارة أطلق عليه **صاحب الخبر**، وأخرى **صاحب البريد**، وثالثة **العين** لأن جلّ عمله بعينه، أو لشدة اهتمامه بالرؤيا واستغراقه فيها كأن جميع بدنه صار عيناً، ورابعة **الجاسوس** وهذا اللفظ مشتق من جس الخبر، ولكن عندما شرحوا صفات العاملين في هذا المجال ومهامهم نجد أن هناك اتفاقاً واضحاً بين كل من مارس هذا العمل في كل الحضارات وحتى اليوم، وإن كانت أساليب هذا العمل قد تطورت في عصرنا الحاضر بشكلٍ كبير.

---

[4]- دافيدكان، **الاستخبارات**، ترجمة عبد اللطيف أفيوني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982م: 13.

[5]- ساكر، هاري، **عظمة بابل**، ترجمة عامر سليمان إبراهيم، دار الكتب، الموصل، 1979م.: 146.

[6]- توزو، سان، **فن الحرب**، إعداد: عمر حليق، مؤسسة الحياة للتأليف والنشر، بيروت، 1969م.: 207-209.

[7]- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **تاريخ الرسل والملوك**، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1939م: 186/2.

[8]- الجهشياري، محمد بن عبدوس، **الوزراء والكتاب**، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1357هـ.: 4.

[9]- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1968م.: 2/ 108.

وفي المرحلة الأولى **للدولة الإسلامية** لم تشهد ظهور جهاز مخابرات مستقل بذاته، بل جرت العادة أن يُنتدب بعض من الصحابة، لأداء مهمات استخبارية محددة، قُبيل الغزوات، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له سرية استطلاع وجمع المعلومات والبحث والتحرّي وجمع البيانات عن قريش، وكان يقود سرية الاستطلاع عاصم بن ثابت رضي الله عنه[10].

ولما ظهر النفاق أسس النبي صلى الله عليه وسلم، في المدينة المنورة جهاز الاستخبارات السري، ليأتيه بالمعلومات الدقيقة عن أحوال المنافقين، وإخوانهم يهود المدينة، وقد أسند قيادة الجهاز، للصحابي الجليل حذيفة بن اليمان العبسي رضي الله عنه، أمين سره وكبير رجالات أمن الدولة.

وتوسعت مهمات «العيون» في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لتشمل متابعة أداء الولاة وضبط الأمن داخل المجتمع المسلم.

ثم بدأ بروز جهاز الاستخبارات في عهد **الدولة الأموية**، ودعيت منذ تأسيسها بـ«صاحب الخبر» لرصد حركات المعارضة من الشيعة والخوارج والعمل على القضاء عليهم.

أما في عصر **الدولة العباسية**، فقد أنشأوا منذ بداية حكمهم جهاز مخابرات غاية في الدقة والتنظيم، إذ قامت الدولة بعمل سرّي منظم استمر سنوات طويلة دون أن تتمكن المخابرات الأموية من كشف مخططاته، وذلك بفضل دقة تنظيمه ووسائل التمويه التي كان يستخدمها في اتصالاته، كاستخدام التجار وغيرهم، فحقق الهدف الذي أنشئ من أجله، وقد كلف العباسيون «صاحب البريد» الذي كان يعمل تحت إمرته عددٌ كبير من العيون المبثوثين في مختلف أرجاء الدولة، والذين كانوا يقدمون له التقارير المفصلة عن أوضاع المناطق المكلفين بها، بإدارة جهاز المُخابرات، وكان صاحب البريد بدوره يقدّم خلاصة هذه التقارير إلى الخليفة ليرى رأيه فيها.

وفي **عهد المماليك** برز ما أُصطلح عليه وقتها بـ«**البصَّاصين**»[11]، نسبة للمُخبرين الذين يُتابعون كل شيء من أجل حماية مصالح المُلك.

وكان من أساليب العيون في **الدولة الأيوبية** ما يثير الإعجاب، منها: عندما اشتد حصار الفرنجة لمدينة عكا، وضاقت المؤن على المحاصرين، استطاعت العيون الأيوبية في العشر الأواخر من رجب (عام 586ه 1190 م) إغاثة المدينة بطريقة في غاية الذكاء، فقد جهزت سفينة كبيرة في بيروت شحنتها بالأقوات وطلبت من رجالها الذين رافقوا السفينة بأن يلبسوا لباس الفرنجة، وبأن يحلقوا لحاهم، ويضعوا الصلبان في أعناقهم، ويظهروا خنازير على سطح السفينة، وبهذه الحيلة تمكنت هذه السفينة من العبور من وسط سفن الفرنجة دون أن يشكوا فيها، حيث تمكنت من إيصال المؤن للمدينة المحاصرة"[12].

الفصل الثاني: مفهوم جهاز المخابرات والأمن

تعريف جهاز المخابرات:

الجَهَاز: الطَّائفة من الناس تؤدّي عملاً دقيقًا(الجهاز الحكوميّ)، والمخابرات فن رصد الخطر والتعامل معه.

المخابرات، والاستخبارات لغة: السؤال عن الخبر، قال ابن منظور: " الخبر: ما أتاك من نبأ عمن تستخبر .ابن سيده : الخبر النبأ، والجمع أخبار، وأخابير جمع الجمع. فأما قوله تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**﴾ [الزلزلة:4] فمعناه يوم تزلزل تخبر بما عمل عليها. وخبره بكذا وأخبره: نبأه. واستخبره: سأله عن الخبر وطلب أن يخبره; ويقال: تخبرت الخبر واستخبرته; ومثله تضعفت الرجل واستضعفته، وتخبرت الجواب واستخبرته. والاستخبار والتخبر: السؤال عن الخبر. وفي حديث الحديبية: (أنه بعث عينا من خزاعة يتخبر له خبر قريش) أي يتعرف; يقال: تخبر الخبر واستخبر إذا سأل عن الأخبار ليعرفها"[13].

ومنه قوله تعالى: ﴿**فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا**﴾ [الفرقان:59] أي: اسأل عنه خبيراً يخبر.

---

[10]- ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى**، الطبعة الأولى 1968م، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت: 55/2.

[11]- **البصَّاصة**: العين الناظرة بتحديق وتدقيق.

[12]- أبو شامة،عبد الرحمن بن اسماعيل،1418هـ 1997م، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 153/4.

[13]- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، 2003م، **لسان العرب**، دار صادر، مادة (خبر).

واصطلاحاً: هي "مجموعة الأجهزة والتشكيلات والوسائل المستخدمة لجمع المعلومات السياسية والنفسية والاقتصادية والعسكرية الخاصة بالعدو وتحليلها، والعاملة في الوقت نفسه على مكافحة عمليات التجسس أو التخريب المعادية، وإبطال كل عمل يقوم به العدو لجمع المعلومات السياسية والنفسية والاقتصادية والعسكرية عن معسكر الصديق"[14].

جهاز المخابرات: جهاز رسميّ يتولّى جَمْع الأخبار لصالح دولة معينة لحفظ أمنها، والكشف عمّا يُعرّض أمنها الداخليّ والخارجيّ للاضطرابات.

وعرَّفها أولوا الشأن بأنها: " الخطى المتناسقة المدروسة، الموجهة لاستخدام كل الوسائل المتيسرة للحصول على كافة أنواع المعلومات، وتصنيفها وتقديمها لإمداد المسؤولين بالحقائق، والتقديرات الواقعية، وفي الوقت المناسب لوضع استراتيجية الدولة، ولرسم سياسات معينة، ولاتخاذ القرارات السليمة التي تكفل سلامة الأمن القومي للدولة، وللعمل ضد عمليات المخابرات المعادية لمنعها من إلحاق الضرر في أي صورة من الصور"[15].

لذا تعتبر المخابرات من أهم الأجهزة الأمنية على مستوى العالم؛ ولذلك تعمل معظم الدول على تقويتها، ويعتبر جميع الأفراد الملتحقين في أجهزة المخابرات من أمهرهم؛ حيث يتم انتقاؤهم بعناية فائقة، وتعتمد مهاراتهم في وقت الحرب أو السلم على جمع المعلومات الهامة لأي دولة معادية، كما تعتمد على بثِّ المعلومات الزائفة، وتعرف باسم الحرب النفسية أو الحرب الباردة لزعزعة روح الخصم.

فالمخابرات إذن، هي أن تعرف وتدقق، لأن المعرفة قوة، وكلّما عرفتَ أكثر كنتَ أقوى، ثم تحلل، وتقيّم، وبعدها تتوقع وتقدر، ومن ثم تستبق.

وهناك بعض المصطلحات بمعنى المخابرات مثل: العيون، التجسس، الاستطلاع، العملاء.

تعريف الأمن لغة: من أَمِنَ أي اطمأنَّ ولم يَخَفْ، والأمن يعني الاستقرار والاطمئنان، قال ابن فارس: "الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق"[16].

وقال ابن منظور في لسان العرب: "الأَمانُ والأَمانةُ بمعنى. وقد أَمِنْتُ فأَنا أَمِنٌ، وآمَنْتُ غيري من الأَمْن والأَمان، والأَمْنُ ضدُّ الخوف، والأَمانةُ ضدُّ الخِيانة، والإيمانُ ضدُّ الكفر، والإيمان بمعنى التصديق ضدُّه التكذيب، يقال: آمَنَ به قومٌ وكذَّب به قومٌ، فأَما آمَنْتُه المتعدي فهو ضدُّ أَخَفْتُه، وفي التنزيل العزيز: ﴿**وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾" [قريش:4].

"والأَمَنَةُ الأمن، قال الله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا**﴾ [آل عمران:154] **الأَمْنَةُ:** الذي يأْمَنه كلّ أحدٍ في كل شيءٍ، والأُمَنة: مَنْ يؤْمِن بكلّ ما يسمع، ويطمئنّ إلى كل أَحَد، وقوله تعالى ﴿**وَهَـٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ**﴾ [التين:3] قال الأخفش: يريد البلد الآمن وهو من الأمن"[17].

من خلال ما تقدم من معاني لغوية يتضح لنا أن كلمة الأمن لها عدة إطلاقات: فهي تعني الطمأنينة وعدم الخوف، أو الثقة والهدوء النفسي، إضافة إلى راحة القلب وعدم وقوع الغدر أو الخيانة من الآخر.

الأمن اصطلاحاً: هو تأمين سلامة الدولة ضد أخطار خارجية، وداخلية قد تؤدي بها إلى الوقوع تحت سيطرة أجنبية نتيجة ضغوط خارجية أو انهيار داخل"[18].

وجاء في الموسوعة الفقهية الكويتية أن الأمن عند الفقهاء المسلمين: "ما به يطمئن الناس على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ويتجه تفكيرهم إلى ما يرفع شأن مجتمعهم وينهض بأمتهم"[19].

فالأمن هو اطمئنان الإنسان على دينه ونفسه وعقله وأهله وماله وسائر حقوقه، وعدم خوفه في الوقت الحالي أو في الزمن الآتي، في داخل بلاده أو في خارجها، من العدو ومن غيره.

---

[14]- الأيوبي، الهيثم وآخرون، 1977م، **الموسوعة العسكرية**، طبعة المؤسسات العربية للدراسات والنشر، بيروت:62/1.

[15]- خطاب، محمود شيث وغيره، دون تاريخ، **اقتباس النظام العسكري في عهد النبي صلى الله عليه وسلم**، مطابع قطر الوطنية بالدوحة، قطر: 165.

[16]- فارس، أحمد، الطبعة الثانية 1420هـ 1999م، **معجم مقاييس اللغة**، دار الجيل، بيروت، لبنان:133/1.

[17]- الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، مادة (أمن).

[18]- الكيالي، عبد الوهاب وآخرون، دون تاريخ، **موسوعة السياسية**، دار الهدى للنشر والتوزيع:331/1.

[19]- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، 1414هـ 1994م، طباعة ذات السلاسل، الكويت: 271/6.

والأمن ضرورة ملحة للغاية، وحاجة أكيدة بالنسبة للأفراد والمجتمعات والشعوب والدول والأمم، وذلك من أجل تمكين الاستقرار والتنمية والازدهار.

والحياة الكريمة الهانئة والسعادة الغامرة وراحة النفس تكون حيث يكون الأمن، قال الله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ**﴾ [سبأ:18].

وعلى النقيض تماماً تكون حياة الخوف والجوع والتشريد في حال انعدام الأمن وضياع الإيمان بين الناس، قال الله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّـهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّـهِ فَأَذَاقَهَا اللَّـهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾ [النحل:112].

وقد وقع التنويه بالأمن في نصوص شرعية أخرى، منها قول الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَـئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام:82].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ**﴾ [الدخان:55].

وقوله جل جلاله: ﴿**الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾ [قريش:4].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا»[20].

والعاملون في "هذا المجال يفتقرون لمعرفة الحكم الشرعي فيما يمارسونه من أقوال وممارسات، بعضهم عن جهل وبعضهم عن قصد، الأمر الذي أدى إلى نفور عامة المسلمين من العاملين في هذا المجال، والنظر إليهم أنهم أناس لا خلاق لهم، ولا رحمة في قلوبهم، فنتج عن ذلك الجفوة الكبيرة بين الجمهور والعاملين في أجهزة المخابرات، والهوة الكبرى بين العلماء والعاملين في تلك الأجهزة"[21].

و"المتأمل لنصوص القرآن الكريم يجد فيها إشارات واضحة على جواز عمل المخابرات، وأن هذا العمل الأمني والاستخباري من صميم الإسلام، وليس أمراً دخيلاً عليه، وأكد علماء الأمة على مشروعية وأهمية هذا العمل الأمني"[22].

قال الله تعالى: ﴿**وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ**﴾ [التوبة:120] "تشير هذه الآية الكريمة إلى أن كل نيل من العدو عليه جزاء، وإن استطلاع أخبار العدو، ومعرفة مواطن الضعف فيه، ومواقع آلياته ومنشآته يعتبر نيلاً منه، لأن ذلك يوصل للتخطيط السليم المؤدي إلى الظفر بهذا العدو"[23].

وكذلك نجد إشارة واضحة إلى علم الاستخبارات في قوله تعالى: ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّـهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّـهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [يوسف:87]، ووجه الاستدلال هنا أن "سيدنا يعقوب عليه السلام قد طلب من أبنائه أن يتحسسوا ويبحثوا عن يوسف وأخيه، وفي هذا إقرار من أحد الأنبياء في جمع المعلومات عن الآخرين، ويعتبر جمع المعلومات من العناصر الأساسية في علم الاستخبارات، ويؤكد على مبدأ جمع المعلومات بعدم اليأس"[24].

ولما كان عنصر جمع المعلومات أس الاستخبارات نجد أن أم موسى عليهما السلام تقصَّت أخبار ابنها، وتتبَّعت آثاره بعد أن قذفته في اليم وأصبح فؤادها فارغاً، وأثمرت هذه الطريقة في رد موسى إلى أمه كي تقر عينها، وقد أشار القرآن الكريم إلى كل هذا بقوله تعالى: ﴿**وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ. فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّـهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [القصص:11-13]، ويستفاد من هذه الآيات فوائد جليلة في شأن الاستخبارات منها[25]:

1- استخدام أم موسى لمبدأ جمع المعلومات للحفاظ على سلامة ابنها ويتجلى ذلك في قولها لأخته ﴿**قُصِّيهِ**﴾ أي تتبعي أثره وتشممي خبره براً وبحراً، ثم انظري أين يلقيه اليم ومتى يستخرج منه؟

---

[20]- رواه **الترمذي** في سننه برقم: 2346.

[21]- محمد أحمد، إبراهيم علي، 1427هـ 2006م، **فقه الأمن والمخابرات**، الرياض: 5-6.

[22]- فرحات، كرم حلمي،1428هـ 2007م ، **تاريخ المخابرات الإسلامية عبر العصور**، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الأولى: 20.

[23]- المرجع السابق: 20.

[24]- المرجع السابق: 21.

[25]- فرحات، كرم حلمي، **تاريخ المخابرات الإسلامية عبر العصور: 24.**

2- اختيار العنصر الأمين والحريص ليكون جمع المعلومات صحيحاً وموثوقاً، حيث اختارت أم موسى أخته؛ لأن الأخت تعتبر من الحريصين والأمناء على تلك المصلحة، فهي تندفع من ذاتها لجمع المعلومات عن أخيها، وهذا من الأمور الضرورية في العنصر المرسل في عملية الاستخبارات.

3- التقصي عن بعد لئلا تثير ريبة أو جلب للأنظار، فكلمة التقصي تعطي معنى الانتباه والدقة في جلب المعلومات دون إثارة، والتتبع الدقيق لكل تفاصيل الحادثة، والدليل أنها بصرت به عن بعد دون أن يشعروا بها، ولذلك لم تكتفِ أخت موسى بمعرفة مكان موسى فقط، بل تقصت الأخبار أكثر، محاولة استجرارهم لإعادة موسى إلى أمه، فتوصلت إلى جلبه معها بأيديهم وإرادتهم.

ونستفيد أيضاً من قصة هدهد نبي الله سليمان عناصر مهمة وعديدة للاستخبارات، فقد أخبر الله تعالى عن غياب الهدهد الذي هو جند من جنود سيدنا سليمان عليه السلام، بأنه ذهب إلى منطقة سبأ باليمن، ثم جاء بخبر جديد ونبأ يقين، فجمع المعلومات مبدأ من مبادئ الاستخبارات، والظرف الذي تم فيه جمع هذه المعلومات هي ظروف حرب بدليل قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴾ [النمل:17].

وقد اشتملت هذه الآية وما تلتها على العديد من عناصر الاستخبارات الأساسية، وهي[26]:

1- إقرار مبدأ الحصول على معلومات أكيدة وخاصة جداً، ﴿**فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**﴾ [النمل:22] وهذا بيان وجه تطلب نبي الله سليمان تحقيق صدق خبر الهدهد، والنبأ الخبر المهم، ونلاحظ أن الهدهد كجندي من جنود سيدنا سليمان عليه السلام رأى من واجبه أن يأتي بما حصل عليه من معلومات إلى مسئوله وهو سليمان عليه السلام.

2- إقرار نبي الله سليمان عليه السلام الهدهد ﴿**قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ [النمل:27] والسين للتأكيد أي سنتعرف بالتجربة فيما ذكرته، والنظر هنا نظر العقل وهو التأمُّل والتفكُّر.

3- ثم إرسال الهدهد مرة أخرى لمتابعة الأمر حيث قال للهدهد: ﴿**اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ**﴾ [النمل:28] وهذا الكلام يقتضي كلاماً محذوفاً وهو أن نبي الله سليمان فكر في الاتصال بين مملكته وبين مملكة سبأ فأحضر كتاباً وحمَّله الهدهد.

4- عرض المعلومات المجمَّعة بالتفصيل، قال: ﴿**إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ. وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّـهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ**﴾ [النمل:23-24] "وإدخال (إنّ) في صدر هذه الجملة لأهمية الخبر إذ لم يكن معهوداً في بني إسرائيل أن تكون المرأة ملكاً"[27]، وخص من نفائس الأشياء عرشها إذ كان عرشاً عظيماً بديعاً ضخماً في هيكله وذاته ولم يكن لسليمان عرش مثله، فالأمر ذو أهمية كبيرة بالنسبة لنبي الله سليمان، حيث جمع هذا القول أصول الجغرافية السياسية من صفة المكان والزمان والأديان، وصبغة الدولة وثروتها، علاوة على أنها مملكة مجاورة لمملكة نبي الله سليمان حيث يفصل بينهما البحر الأحمر فقط.

5- اجتهاد الجندي بعد عرض المعلومات في تحليل ما رأى وإيجاد البديل الأفضل، قال: ﴿**أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّـهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ. اللَّـهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [النمل:25-26] وفي ذكر العرش العظيم هنا "تعريض بأن عظمة ملك بلقيس وعظم عرشها ما كان حقيقاً بأن يغرها بالإعراض عن عبادة الله تعالى؛ لأن الله هو رب

[26]- المرجع السابق: **22.**

[27]- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر:252/19.

الملك الأعظم، فتعريف (العرش) للدلالة على معنى الكمال، ووصفه بـ (العظيم) للدلالة على كمال العظم في تجسم النفاسة"[28].

6- تقييم المعلومات المعروضة وتقرير مدى صحتها، قال: ﴿**قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ [النمل:27] ولم يقل (أصدقتَ أم كذبتَ) بل قال: ﴿**أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ "للإيذان بأن كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه، فإن مساق هذه الأقاويل الملفقة، مع ترتيب أنيق، يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير أن يكون لها مصداق أصلاً، لا سيما بين يدي نبـي عظيم تخشى سطوته، لا يكاد يصدر إلا عمن رسخت قدمه في الكذب والإفك وصار سجية له حتى لا يملك نفسه عنه في أي موطن كان"[29].

7- استحباب المشاورة والاستعانة بالآراء في المور المهمة، قال تعالى حكاية عن بلقيس: ﴿**قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ**﴾ [النمل:32] والمعنى "أشيروا علي بما عندكم من الرأي والتدبير فيما حدث لي وذكرتُ لكم خلاصتَه، وقصدتْ بما ذكرتْ استعطافهم وتطييب نفوسهم ليساعدوها ويقوموا معها، وأكدت ذلك بقولها: ﴿**مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ**﴾ أي ما أقطع أمراً من الأمور المتعلقة بالملك إلا بمحضركم وبموجب آرائكم، والإتيان بكان للإيذان بأنها استمرت على ذلك أو لم يقع منها غيره في الزمن الماضي فكذا في هذا"[30].

8- تحليل ودراسة المعلومات واستخلاص النتائج منها، قال تعالى حكاية عن بلقيس: ﴿**قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾ [النمل:34] وهذا استدلال بشواهد التاريخ الماضي ولهذا تكون (إذا) ظرفاً للماضي، حيث "أبدت لهم رأيها مفضّلةً جانب السلم على جانب الحرب، وحاذرة من الدخول تحت سلطة سليمان اختياراً لأن نهاية الحرب فيها احتمال أن ينتصر سليمان فتصير مملكة سبأ إليه، وفي الدخول تحت سلطة سليمان إلقاء للمملكة في تصرفه، وفي كلا الحالين يحصل تصرف مَلك جديد في مدينتها فعلمت بقياس شواهد التاريخ وبخبرة طبائع الملوك إذا تصرفوا في مملكة غيرهم أن يقلبوا نظامها إلى ما يساير مصالحهم واطمئنان نفوسهم من انقلاب الأمة المغلوبة عليهم في فُرص الضعف أو لوائح الاشتغال بحوادث مهمة، فأول ما يفعلونه إقصاء الذين كانوا في الحكم لأن الخطر يتوقع من جانبهم حيث زال سلطانهم بالسلطان الجديد، ثم يبدلون القوانين والنظم التي كانت تسير عليها الدولة، فأما إذا أخذوها عنوة فلا يخلو الأخذ من تخريب وسبي ومغانم، وذلك أشد فساداً"[31].

9- إمداد المسئولين واطلاع القادة على المعلومات الدقيقة والهامة، وخاصة عن الدول الإقليمية والمجاورة.

10- استخدام المال في عملية الاستخبارات كوسيلة من وسائل كشف حقيقة الآخرين، حيث قال تعالى حكاية عن بلقيس: ﴿**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**﴾ [النمل:35] "وروي أنها قالت لقومها: إن كان ملكاً دنياوياً أرضاه المال وعملنا معه بحسب ذلك وإن كان نبياً لم يرضه المال وينبغي أن نتبعه على دينه... والجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف التحقيق للإيذان بأنها مزمعة على رأيها لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها عاطف."[32].

---

[28]- المصدر السابق: 256/19.

[29]- الألوسي، محمود شكري، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت:19/ 193.

[30]- الألوسي، محمود شكري، **روح المعاني**: 197/19.

[31]- ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**:265/19.

[32]- الألوسي، محمود شكري، **روح المعاني**: 198/19.

11- توجيه الإنذار المبكر بناء على المعلومات المسبقة، قال الله تعالى: ﴿**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ. حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ [النمل:17-18] نلاحظ هنا أن المعلومات لا يستفيد منها الإنسان فحسب، بل يستفيد منها حتى الحيوانات والطيور، وهنا استفاد النمل من المعلومات السابقة، حيث استخدم وسائل الإنذار المبكر، ونادت نملة ﴿**يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ**﴾ لئلا يدوسكم سليمان وجنوده بأرجلهم فتتحطمون بدون قصد، وكان سبب توجيه هذا الإنذار المبكر بفضل المعلومات المسبقة التي حصلت عليها.

12- المباغتة والمفاجأة في جمع المعلومات جميعها وتوصيلها بحرفية وأمانة تامة.

13- الاستفادة من المعلومات القيمة لإظهار الحقيقة والدعوة إلى الحق والاستقامة، وإصلاح العقيدة الفاسدة مع تخريب الفكر المنحرف وإزهاق الباطل.

نستنتج من كل ما مضى أن الأمن أساس العمران، وضرورة الحياة، وركيزة التقدم والنماء، ولكن المتأمل لكتب الفقه الإسلامي يجد أنها لم تفرد كتباً أو أبواباً لهذا الجانب الحيوي إلا شذرات هنا وهناك بين طيات الكتب وأسفار الفقه، مما نجم عن ذلك فراغ فقهي كبير في هذا الجانب الحيوي والضروري.

الفصل الثالث: فقه المخابرات في ضوء السيرة النبوية

المطلب الأول: المهارات الاستخبارية في العهد المكي

إنك لتعجب أشد العجب من خلو المكتبة الإسلامية والعربية من الحديث عن فقه المخابرات، مع العلم أن المخابرات في الإسلام قديمة قدم الإسلام نفسه إذ ظهرت مع ظهوره، "فمع أول بزوغ شمس الرسالة ظهرت في سرية وتكتم كما هو معلوم فقد استمرت الفترة السرية لمدة ثلاث سنوات، اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم خلالها مناهج، وأساليب ووسائل في غاية الحيطة والحذر، وكانت هذه الفترة اللبنة الأولى في بناء المهارات الاستخبارية الإسلامية"[33]، وكان يختار من يدعوهم وفق أسس ومقاييس، إذ أن أي خلل في الخطة الأمنية السرية في الدعوة أو تسرّب أي معلومة؛ يمكن أن يؤدي إلى نتائج لا تحمد عقباها؛ لذا كان دقيقاً في انتقاء المدعوين ومدى اتصافهم بالكتمان وحفظ السر.

وكان "أول المدعوين والمستجيبين هم: زوجه السيدة خديجة، وابن عمه علي بن أبي طالب، ومولاه زيد بن حارثة، وحاضنته أم أيمن رضي الله عنهم جميعاً، ولا يخفى ما في ذلك من أبعاد أمنية عميقة، فهؤلاء هم أقرب الناس إليه وأعرفهم به، جعلهم يؤمنون برسالته دون تردد أو إبطاء وعن قناعة تامة، وهذا ما تتطلبه المرحلة، فهؤلاء يكتمون السر ولا يفشونه من ناحية، ويساعدونه ويعينونه على تحمل أعباء الدعوة من ناحية أخرى"[34].

ثم تقدمت الدعوة خطوة أخرى بعدها حيث انتقلت الدعوة إلى استراتيجية جديدة وتكتيك أمني رفيع تمثل في دار الأرقم حيث اتخذ منها مقراً سرياً، وذلك بعد أن استجاب عدد يربو على الثلاثين، الأمر الذي استدعى ضرورة اجتماع الرسول صلى الله عليه وسلم بهم وتعليمهم أمور دينهم، فكان دار الأرقم أول بيت آمن للمهارات الأمنية والاستخبارات.

ثم تطور الأمر في التكتيك الأمني والاستخباري في الإسلام، وذلك بعد ازدياد عدد الداخلين في الإسلام، الأمر الذي أدى إلى ضيق دار الأرقم، "ولمجابهة هذا الطارئ لجأ الرسول صلى الله عليه وسلم إلى توزيعهم خلايا صغيرة تعداد أفرادها من ثلاثة إلى خمسة، يجتمعون يومياً أو دورياً في أماكن وأزمنة مختلفة[35]، بغرض تعليم الصحابة، وتأدية الصلاة جماعة، ومحققين بذلك التكافل الاجتماعي الأمثل.

وبعد مضي الفترة السرية لجأ الرسول إلى أساليب مبتكرة، من أبرزها مقاومة المسلمين لأساليب جهاز المخابرات القرشي، فقاوم المسلمون أسلوب الحرب النفسية بأشكالها المختلفة، وبعد فشل أسلو الحرب

---

[33]- محمد أحمد، إبراهيم علي، **فقه الأمن والمخابرات**: 11.

[34]- المرجع السابق: 12.

[35]- محسن، حسين، **الطريق إلى جماعة المسلمين**، الطبعة الرابعة، 1410هـ، دار الوفاء، المنصورة: 171.

النفسية والتعذيب المعنوي؛ لجأت مخابرات قريش إلى أسلوب التعذيب الجسدي، فنكلت بالرسول وأتباعه، وكوَّنت لجنةً بلغت تعداد أفرادها خمساً وعشرين رجلاً من عِلْية القوم من قريش يتزعمهم أبو لهب، وبعد التشاور اتخذت اللجنة قراراً حاسماً في محاربة المسلمين وإيذاء قائد الدعوة، فقاوم المسلمون وصبروا وتحملوا أشد أنواع التعذيب، فضاقت قريش بهذا الصبر ذرعاً.

بعد فشل هذا الأسلوب القرشي، لجأوا إلى المفاوضات غير المباشرة، ثم اتجهت قريش إلى الرسول وعرضوا عليه العروض المغرية (المال والنساء والسيادة والمُلْك والعلاج) نظير تخليه عن أمر الدعوة، فرفض الرسول كل المغريات وقال: "مَا بِي مَا تَقُولُونَ، مَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ، وَلَا الشَّرَفَ فِيكُمْ، وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي، وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ، فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ"[36].

فلجأت قريش إلى أسلوب أحدث ألا وهو الحصار الاقتصادي والاجتماعي، وكتبوا ذلك في وثيقة وعلقوها في جوف الكعبة، وأحكِم الحصار وتمَّ بحزم وعزم، لكن هذا الأسلوب الآخر مُنِيَ بالفشل الذريع، مما حدا ببعضهم أن يمزق الصحيفة التي فيها بنود الحصار والمقاطعة.

في أثناء هذا الصراع وتلك المقاومة التي أبداها المسلمون كان النبي صلى الله عليه وسلم يضع استراتيجية جديدة لتخفيف وطأة المخابرات القرشية تمثلت في الهجرة من مكة إلى الحبشة وكان القرار غير ملزم، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ"[37].

فخرج بعض الصحابة إلى الحبشة وكانت هجرتهم في سرية تامة فوَّتتْ على قريش العِلم بها في حينها، فلم تعلم بها إلا بعد فوات الأوان، فكانت هذه الهجرة أولى العمليات الاستخبارية الجماعية التي تجلت فيها المهارات الأمنية والاستخبارية الإسلامية بكل دقة وحكمة وحنكة حتى وصلت إلى هدفها.

قال ابن جرير الطبري: "خرج الذين هاجروا الهجرة الأولى متسلّلين سراً، وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، حتى انتهوا إلى الشعيبة، منهم الراكب والماشي، ووفق الله للمسلمين ساعة جاءوا سفينتين للتجار حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار، وكان مخرجهم في رجب في السنة الخامسة، من حين نبّئ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر، حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحداً"[38].

وهكذا تطورت الاستراتيجية للمخابرات النبوية تطوراً مذهلاً، وخير مثال على ذلك ما تم في بيعة العقبة الثانية، التي تشير أحداثها ووقائعها إلى أنها تمت في غاية الإحكام والإتقان في وضع الخطة الأمنية وتنفيذها، حيث كان الاتفاق مسبقاً على زمان ومكان البيعة في أواسط أيام التشريق عند العقبة ليلاً، ومعلوم أن الليل غطاء وساتر جيد، أضف إلى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الأنصار بكتمان الخبر عن المشركين، فعَنْ عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ قَالَ: "انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الْعَبَّاسِ عَمِّهِ إِلَى السَّبْعِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَقَالَ: "لِيَتَكَلَّمْ مُتَكَلِّمُكُمْ وَلَا يُطِلِ الْخُطْبَةَ فَإِنَّ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَيْنًا، وَإِنْ يَعْلَمُوا بِكُمْ يَفْضَحُوكُمْ"[39].

ثم وضع خطة وكيفية محكمة ومأمونة بأن يأتوا فرادى، قال كعب: "فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا، حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمَعَادِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَتَسَلَّلُ تَسَلُّلَ الْقَطَا مُسْتَخْفِينَ، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا، وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِنَا"[40].

---

[36]- ابن هشام، عبد الملك، 1375هـ 1955م، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وغيره، القاهرة، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده: 296/1.

[37]- ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية**: 321/1.

[38]- الطبري، محمد بن جرير، الطبعة الثانية 1387هـ، **تاريخ الرسل والملوك**، بيروت، دار التراث: 329/2.

[39]- ابن كثير، اسماعيل بن عمر، الطبعة الأولى، 1408هـ 1988م، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي: 199/3.

[40]- ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية**: 441/1.

ويستمر التطور في المهارات الاستخبارية في الفترة المكية، فكان ختام التطور والتخطيط المذهل والدقيق المتقن في مجال العمل الأمني، إذ كان وضع خطى الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة المنورة، ولم تكن الدقة مقصورة على التخطيط بل كان بارزاً أيضاً في التنفيذ.

وأول معالم هذه الخطة اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم للزمان المناسب، حيث خرج في نحر الظهيرة وكان ملثماً، عند اشتداد الحرّ حيث تخلو فيه شوارع مكة من المارة، وليلفت انتباه الصدّيق إلى خطورة الأمر، فهذا وقت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي فيه إلى دار أبي بكر الصديق طيلة أعوام مضت، حيث أخفى شخصيته أثناء تنفيذ المهمة، فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: "كَانَ لَا يُخْطِئُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْتِيَ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفَيْ النَّهَارِ، إِمَّا بُكْرَةً، وَإِمَّا عَشِيَّةً، حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي أُذِنَ فِيهِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْهِجْرَةِ، وَالْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَيْ قَوْمِهِ، أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْهَاجِرَةِ، فِي سَاعَةٍ كَانَ لَا يَأْتِي فِيهَا.

قَالَتْ: فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: مَا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ السَّاعَةَ إِلَّا لِأَمْرٍ حَدَثَ"[41].

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالخروج من مكة إلى المدينة سراً في الظلام، في وقت لا يوجد فيه حركة للناس.

ثم التمويه في مبيت سيدنا علي رضي الله عنه في فراشه صلى الله عليه وسلم، "فَلَمَّا كَانَتْ عَتَمَةٌ مِنَ اللَّيْلِ اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ يَرْصُدُونَهُ حتى يَنَامَ فَيَثِبُونَ عَلَيْهِ، فلمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَانَهُمْ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: (نَمْ عَلَى فِرَاشِي وَتَسَجَّ بِبُرْدِي هَذَا الْحَضْرَمِيِّ الْأَخْضَرِ، فَنَمْ فِيهِ فَإِنَّهُ لن يخلص إليك شيء تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ) وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنَامُ فِي بُرْدِهِ ذَلِكَ إِذَا نَامَ"[42].

ثم اختيار الدليل صاحب الخبرة الكافية بالطريق فكان ذلك الدليل الحاذق والماهر هو عبد الله بن أريقط، لأنه من المشركين فلا يشكُّوا في أمره إذا رأوه سائرًا خارج مكة وهذا منتهى الذكاء.

ثم تهيئة وسائل الهجرة بالجِمال ذات المواصفات الخاصة، لأنها أنسب وسيلة في سفر الصحراء، ثم تموين الهجرة من أسرة أبي بكر رضي الله عنه إلى جانب تسخير أفرادها في خدمة ركب الهجرة، ثم التوقيت المناسب للخروج قبيل الفجر، والخروج إلى الغار سيراً على الأقدام.

ثم التمويه في الخروج إلى غار جنوب مكة بينما طريق المدينة شمال مكة، تضليلًا للمطاردين، فيبقيان في هذا الغار ثلاثة أيام، ويتحركان في اتجاه المدينة حين يفقد المشركون الأمل في العثور عليهم، ويَدَعان الراحلتين مع عبدالله بن أريقط الدليل، على أن يقابلهما عند الغار بعد الأيام الثلاثة، "وَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، فَكَانَتَا عِنْدَهُ يَرْعَاهُمَا لِمِيعَادِهِمَا"[43].

ويأمر أبو بكر ابنه عبدالله أن يتسمَّع لهما الأخبار وما يقال فيهما في النهار ويأتيهما بما عنده من خبر إذا أمسى، ويبقى مع الرسول صلى الله عليه وسلم والصديق طوال الليل ثم يعود إلى مكة قبل الفجر.

كما يأمر أبو بكر مولاه عامر بن فهيرة أن يقوم بدور التغطية الأمنية لهذه العملية، وذلك برعي الأغنام نهارًا ثم يريحها عليهما إذا أمسى ليطعما من ألبانها، علاوة على محو آثار أقدام الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق رضي الله عنه، ثم آثار أقدام عبدالله بن أبي بكر بعد ذلك، حتى يضيع على المشركين فرصة تتبع آثار الأقدام.

"قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخُرُوجَ، أَتَى أَبَا بَكْرٍ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ، فَخَرَجَا مِنْ خَوْخَةٍ لِأَبِي بَكْرٍ فِي ظَهْرِ بَيْتِهِ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى غَارٍ بِثَوْرٍ- جَبَلٍ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ- فَدَخَلَاهُ، وَأَمَرَ أَبُو بَكْرٍ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَتَسَمَّعَ لَهُمَا مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِمَا نَهَارَهُ، ثُمَّ يَأْتِيهِمَا إِذَا أَمْسَى بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ الْخَبَرِ، وَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ مَوْلَاهُ أَنْ يَرْعَى غَنَمَهُ نَهَارَهُ، ثُمَّ يُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا، يَأْتِيهِمَا إِذَا أَمْسَى فِي الْغَارِ. وَكَانَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ تَأْتِيهِمَا مِنْ الطَّعَامِ إِذَا أَمْسَتْ بِمَا يُصْلِحُهُمَا"[44]، وهكذا أمر أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين أن تقوم بدور الإمداد والتموين، فتحمل إليهم الطعام والماء كل يوم.

---

[41]- ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية**: 484/1.

[42]- ابن كثير، اسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية:** 216/3.

[43]- المرجع السابق**:** 218/3.

[44]- ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية**: 485/1.

ثم إرسال الرسائل الأمنية المضلِّلَة مع سراقة بن مالك لتضليل قريش «أَخْفِ عَنَّا»[45] وعَمِّ عَنَّا الطلب.
ثم اختيار طريق الهجرة عن طريق ساحل البحر الأحمر لأنه غير معروف، فيصعب على المشركين إيجادهم، وهذا التمويه على العدو من خلال تغيير المكان، أو الطريق التي يعهدها الناس، أظهرت منهجية النبي صلى الله عليه وسلم في تضليل العدو، من خلال تغيير الوجهة التي يقصدها، فكانت نتيجة الرحلة النجاح ودخول ركب النبوة المدينة المنورة عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.
وبالهجرة إلى طابة الطيبة تنتهي الفترة الأولى من تاريخ ظهور المهارات الأمنية والاستخبارية لتبدأ المرحلة الثانية في المدينة المنورة.

المطلب الثاني: المهارات الاستخبارية في العهد المدني

تبدأ الفترة الثانية: العهد المدني، بعد وصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة التي سبقه إليها عدد من أصحابه من المهاجرين رضي الله عنهم، حيث دخلت المهارات الأمنية مرحلة جديدة تختلف عن العهد المكي، وذلك للتباين بين الوضعين: "فأوضاع المسلمين في مكة كانت سيئة ومتردية، إذ كانوا مضطهدين ومستضعفين، بينما وجدوا في المدينة أرضاً وأنصاراً فتحولوا من اللا دولة إلى دولة... والمجتمع المكي كان ذا عقيدة واحدة هي الوثنية، بينما في المدينة عقيدتان: اليهودية والوثنية، وفي المجتمع المكي جنس واحد هم العرب، أما في المدينة فبجانب العرب يوجد اليهود، وهذا الوضع يحتم على المخابرات الإسلامية وضع استراتيجية تلائم وتناسب هذا الاختلاف في النسيج الاجتماعي"[46].
فكانت أولى الأولويات للمهارات الاستخبارية الإسلامية هي تحصين الجبهة الداخلية وتوحيدها والذي تمثل في بناء الجامع النبوي الشريف، الذي يجسد الأخوة، والتعارف، والتآلف، والتعاون، والتجانس، ولا يخفى ما في ذلك من الحفاظ على نسيج الوحدة الاجتماعية والذي ينعكس إيجاباً على تماسك الجبهة الداخلية، ولمزيد من هذا التوحيد والألفة كان التآخي بين المهاجرين والأنصار، ولا يخفى ما في التآخي من جوانب أمنية تمثلت في حل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية، وإزالة رواسب الجاهلية المتمثلة في العنصرية القبلية، ولا يخفى ما في ذلك من تماسك الجبهة الداخلية.
وبعد بناء المسجد والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار؛ "استجد للمخابرات الإسلامية عنصر آخر لم يكن موجوداً في مكة وهو الدخول في **مرحلة النزاع المسلح** مع أعداء الدولة الإسلامية، مما أضاف إلى الأمن والمخابرات عبئاً جديداً وقيام فرع جديد يعنى بالمخابرات العسكرية، التي ظهر فيها التفوق الواضح للمسلمين سواء كان في الجانب الاستراتيجي، أو التكتيكي أو الوقائي، فقد عنى الرسول صلى الله عليه وسلم بالمخابرات العسكرية أيما اعتناء، إذ كان يختار أفراد المهام العسكرية اختياراً دقيقاً محكماً"[47]، فلكل مهمة ما يناسبها من أصحابه رضي الله عنهم.
ولما ظهر النفاق أسس النبي صلى الله عليه وسلم، في المدينة المنورة جهاز الاستخبارات السري، ليأتيه بالمعلومات الدقيقة عن أحوال المنافقين، وإخوانهم يهود المدينة، وقد أسند قيادة الجهاز، للصحابي الجليل حذيفة بن اليمان العبسي رضي الله عنه، أمين سره وكبير رجالات أمن الدولة.
يقول اللواء محمد جمال محفوظ: "اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم دون غيره من الصحابة، ليكون عيناً له في المنافقين في المدينة، وذلك لتمتعه بمزايا الكتمان الشديد، فلا يفشي سره لأحد، وبحضور البديهة فلا يرتبك في المواقف الحرجة، وبتقديره العميق لأهمية صيانة الأسرار العسكرية عن الأعداء، فلا يفشي نياته ونيات المسلمين وأهدافهم، وبالذكاء الخارق وموهبة حب الاستطلاع"[48].
وكان للنبي صلى الله عليه وسلم عيون خارج المدينة يتحسسون الأخبار، ويأتونه بالأخبار من كافة أرجاء الجزيرة العربية وغيرها من بلاد فارس والروم، فقد كان له خلية استخبارية في مكة بقيادة عمه العباس رضي الله عنه، فقد "أرسل العباس إلى الرسول بأخبار قريش عندما تجهزت لغزو المدينة في السنة الثالثة

---

[45]- البخاري، محمد بن اسماعيل، الطبعة: الأولى، 1422هـ، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، برقم 3906، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة: 60/5.
[46]- محمد أحمد، إبراهيم علي، **فقه الأمن والمخابرات**: 18-19.
[47]- المرجع السابق: 20.
[48]- محفوظ، محمد جمال، الطبعة الثانية 1976م، **المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية**، دار الاعتصام: 186.

من الهجرة، ووقعت غزوة أحد في هذه السنة... وأرسل العباس وهو بمكة عن نية قريش لغزو المدينة في السنة الخامسة من الهجرة فاستعدَّ الرسول صلى الله عليه وسلم لهم بحفر الخندق حول المدينة"[49].

لقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على اتخاذ كل الوسائل المتقدمة والسريعة، للحصول على المعلومات، وإيصالها للقيادة بشكل عاجل، لأخذ كافة الاحتياطات اللازمة لحماية البلاد من خطر العدو والشواهد على ذلك كثيرة من نماذج الإشارة العاجلة والاتصال السريع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، تلك الرسالة العاجلة التي بعث بها العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، مع رسولٍ له طَوَى الأرض بين مكة والمدينة بسرعة فائقة كما تروي كتب السير، ليحمل خبر استنفار قريش كل قادر على حمل السلاح لأخذ الثأر لقتلى يوم بدر.

يقول اللواء محمد جمال محفوظ: "فأسرع حامل رسالة العباس رضي الله عنه، بإيصال تلك الرسالة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، حتى قطع المسافة بين مكة والمدينة المنورة في ثلاثة أيام"[50].

يقول الدكتور أبو فارس: "أن الرسالة قد وصلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم مختومة ففكَّ ختمها، ودفعها إلى أبي بن كعب رضي الله عنه، فقرأها عليه فاستكتمه النبي صلى الله عليه وسلم"[51].

وكان له عين جائلة[52] بين القبائل كلها وهو سيدنا حسيل بن نويرة رضي الله عنه، و"كَانَ دليل النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خيبر"[53].

كما اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم تدابير أمنية متطورة في إنجاح الغزوات، ومن هذه التدابير الكتمان، وأبرز مثال له فتح مكة، ومن التدابير السير ليلاً والاستخفاء نهاراً، وكذلك السير الصامت ليلاً كما كان في غزوة بدر الكبرى.

ومن التدابير التي تعد مبتكراً وجديداً لم يعرف من قبل ما يسمى بالرسائل المكتومة للمحافظة على الكتمان وحرمان العدو من الحصول على المعلومات التي تفيده عن تحركات المسلمين، ويتجلى هذا واضحاً في **سرية نخلة**، حيث دفع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أمير السرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه بكتاب مغلق، وأمره أن يسير بهذا الكتاب مدة يومين ثم يفتحه بعد ذلك، بهدف الحفاظ على سرية القرار وطبيعة المهمة، خوفاً من انكشافها من قبل الأعداء التي لها عيون في كل مكان.

"قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ: دَعَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ صَلّى الْعِشَاءَ فَقَالَ: وَافِ مَعَ الصّبْحِ، مَعَك سِلَاحُك، أَبْعَثُك وَجْهًا!

قَالَ: فَوَافَيْت الصّبْحَ وَعَلَيّ سَيْفِي وَقَوْسِي وَجَعْبَتِي وَمَعِي دَرَقَتِي، فَصَلّى النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنّاسِ الصّبْحَ ثُمّ انْصَرَفَ، فَيَجِدُنِي قَدْ سَبَقْتُه وَاقِفًا عِنْدَ بَابِهِ، وَأَجِدُ نَفَرًا مَعِي مِنْ قُرَيْشٍ. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أُبَيّ بْنَ كَعْبٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَأَمّرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَتَبَ كِتَابًا. ثُمّ دَعَانِي فَأَعْطَانِي صَحِيفَةً مِنْ أَدِيمٍ خَوْلَانِيّ[54] فَقَالَ: قَدْ اسْتَعْمَلْتُك عَلَى هَؤُلَاءِ النّفَرِ، فَامْضِ حَتّى إذَا سِرْت لَيْلَتَيْنِ فَانْشُرْ كِتَابِي، ثُمّ امْضِ لِمَا فِيهِ. قُلْت: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيّ نَاحِيَةٍ؟ فَقَالَ: أُسْلُكْ النّجْدِيّةَ، تَؤُمّ رَكِيّةَ[55]، قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتّى إذَا كَانَ بِبِئْرِ ابْنِ ضُمَيْرَةَ نَشَرَ الْكِتَابَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ: سِرْ حَتّى تَأْتِيَ بَطْنَ نَخْلَةَ عَلَى اسْمِ اللهِ وَبَرَكَاتِهِ، وَلَا تُكْرِهَن أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِك عَلَى الْمَسِيرِ مَعَك، وَامْضِ لِأَمْرِي فِيمَنْ تَبِعَك حَتّى تأتى بطن نخلة، فَتَرَصّدْ بِهَا عِيرَ قُرَيْشٍ. فَلَمّا قَرَأَ عَلَيْهِمْ الْكِتَابَ قَالَ: لَسْت مُسْتَكْرِهًا مِنْكُمْ أَحَدًا، فَمَنْ كَانَ يُرِيدُ الشّهَادَةَ فَلْيَمْضِ لِأَمْرِ

---

[49]- أبوارشيد، ارشيد يوسف، 1426 هـ، **الحضارة الإسلامية (نظم- علوم -فنون)**، الطبعة الثانية، 1426هـ 2005م، الرياض، مكتبة العبيكان: 47-48.

[50]- خطاب، محمود شيث وغيره، **اقتباس النظام العسكري في عهد النبي صلى الله عليه وسلم**، مطابع قطر الوطنية، الدوحة، قطر: 169.

[51]- أبو فارس، محمد عبد القادر، 1413هـ 1993م، **المدرسة النبوية العسكرية**، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى.

[52]- **جائلة**: دائم التنقُّل والتجوال من مكان لآخر.

[53]- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 1409هـ - 1989م، دار الفكر، بيروت: 494/1.

[54]- **خَولان**: قريتان باليمن والشام كما في معجم البلدان:94/5.

[55]- **رَكِيّة**: بئر، وفي المغازي "ركية، وركبة" بين مكة والطائف. [معجم البلدان، ياقوت الحموي: 3 / 63].

رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ أَرَادَ الرَّجْعَةَ فَمِنْ الْآنِ! فَقَالُوا أَجْمَعُونَ: نَحْنُ سَامِعُونَ وَمُطِيعُونَ لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلَك، فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ حَيْثُ شِئْت"[56].

وابتكر النبي صلى الله عليه وسلم ما يعرف اليوم بحماية الشخصيات المهمة، فكان الصحابة رضي الله عنهم يشكلون وحدة حماية خاصة للنبي صلى الله عليه وسلم، كما فعل في غزوة بدر والخندق وخيبر والحنين وقبيل غزوة أحد، وذلك قبل نزول قوله تعالى: ﴿**وَاللَّـهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ [المائدة:67].

ولقد نفذ بعض الصحابة مهمات خاصة أثناء الغزوات، غاية في التخطيط المحكم، منها مهمة سيدنا خوات بن جبير رضي الله عنه للحصول على معلومات عن بني قريظة إبان غزوة الأحزاب، قَالَ خَوّاتُ بْنُ جُبَيْرٍ: "دَعَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ مُحَاصِرُو الْخَنْدَقِ، فَقَالَ: انْطَلِقْ إلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَانْظُرْ هَلْ تَرَى لَهُمْ غِرَّةً أَوْ خَلَلًا مِنْ مَوْضِعٍ فَتُخْبِرُنِي. قَالَ: فَخَرَجْت مِنْ عِنْدِهِ عِنْدَ غُرُوبِ الشّمْسِ... فَلَمّا دَنَوْت مِنْ الْقَوْمِ قُلْت: أَكْمُنُ لَهُمْ. فَكَمَنْت وَرَمَقْت الْحُصُونَ سَاعَةً، ثُمّ ذَهَبَ بِي النّوْمُ فَلَمْ أَشْعُرْ إلّا بِرَجُلٍ قَدْ احْتَمَلَنِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَوَضَعَنِي عَلَى عُنُقِهِ ثُمّ انْطَلَقَ يَمْشِي. قَالَ: فَفَزِعْت وَرَجُلٌ يَمْشِي بِي عَلَى عَاتِقِهِ، فَعَرَفْت أَنّهُ طَلِيعَةٌ مِنْ قُرَيْظَةَ وَاسْتَحْيَيْت تِلْكَ السّاعَةَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِيَاءً شَدِيدًا، حَيْثُ ضَيّعْت ثَغْرًا أَمَرَنِي بِهِ، ثُمّ ذَكَرْت غَلَبَةَ النّوْمِ. قَالَ: وَالرّجُلُ يُرْقَلُ[57] بِي إلَى حُصُونِهِمْ، فَتَكَلّمَ بِالْيَهُودِيّةِ فَعَرَفْته، قَالَ: أَبْشِرْ بِجَزْرَةٍ سَمِينَةٍ![58] قَالَ: وَذَكَرْت وَجَعَلْت أَضْرِبُ بِيَدِي- وَعَهْدِي بِهِمْ لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ أَبَدًا إلّا بِمِعْوَلٍ فِي وَسَطِهِ. قَالَ: فَأَضَعُ يَدِي عَلَى الْمِعْوَلِ فَأَنْتَزِعُهُ، وَشُغِلَ بِكَلَامِ رَجُلٍ مِنْ فَوْقِ الْحِصْنِ، فَانْتَزَعْته فَوَجَأْت بِهِ كَبِدَهُ فَاسْتَرْخَى وَصَاحَ: السّبْعُ! فَأَوْقَدَتْ الْيَهُودُ النّارَ عَلَى آطَامِهَا بِشُعَلِ السّعَفِ. وَوَقَعَ مَيّتًا وَانْكَشَفَ، فَكُنْت لَا أُدْرَكُ، وَأَقْبَلَ مِنْ طَرِيقِي الّتِي جِئْت مِنْهَا"[59].

ويعتبر حفر الخندق من الإبداع الأمني المواكب لتطورات العصر، وركيزة أساسية في مجال سباق التسلُّح، إذ لم تكن العرب تعرف هذا الأسلوب، يقول اللواء محمود شيث خطاب: "لقد كان حفر الخندق مباغتة تامة للأحزاب، فلم تكن العرب تعرف هذا الأسلوب، كما لم تكن تعرف أسلوب القتال المناسب لاجتياز الخندق والتغلب على المدافعين عنه"[60].

ومن أشهر تلك المهمات مهمة سيدنا نعيم بن مسعود رضي الله عنه لتخذيل الأحزاب حيث أسلم ليلة المعركة، وقال: لقد أسلمتُ يا رسول الله وإن قومي لم يَعلموا بإسْلامي؛ فَمُرْني بما شئتَ، فقال عليه الصلاةُ والسلامُ: (إنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذِّلْ عَنَّا إنِ اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ)[61] أي: ضعْضِعْ هِمَّة عدوّنا وأوهِن قوتهم، فقال: نعم يا رسول الله، وسَترى ما يَسُرُّك إن شاء الله، ونَجح نعيمُ بن مسعود في تمزيقِ صفُوف الأحزابِ, وذلك بزرع الريب والشكوك فيما بينهم حتى تفرقت كلِمتهم، وظل نعيم بن مسعود بعد ذلك اليومِ موضع ثقةٍ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن أبرز المهمات أيضاً مهمة سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه للتأكد من مغادرة جيوش الأحزاب، حينما قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ)[62].

هذا إلى جانب العمليات الخاصة وقت السلم، ومنها العملية الخاصة بفك أسر عياش وهشام رضي الله عنهما، وهي عملية تحرير الرهائن بمفهوم العصر الحديث وكانت عملية ناجحة للغاية، إذ قال "رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ: مَنْ لِي بعَيَّاش بن أبي ربيعة، وهِشَام بن العَاص؟ فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ: أَنَا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِهِمَا، فَخَرَجَ إلَى مَكَّةَ، فَقَدِمَهَا مُسْتَخْفِيًا، فَلَقِيَ امْرَأَةً تَحْمِلُ طَعَامًا فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ تُرِيدِينَ يَا أَمَةَ اللَّهِ؟ قَالَتْ: أُرِيدُ هَذَيْنِ الْمَحْبُوسَيْنِ -تَعْنِيهِمَا- فَتَبِعَهَا حَتَّى عَرَفَ مَوْضِعَهُمَا، وَكَانَا

---

[56]- الواقدي، محمد بن عمر، الطبعة الثالثة 1998هـ 1409م، **المغازي**، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت: 13/1-14.

[57]- **يُرْقَلُ**: يجدُّ ويُسرِع.

[58]- **أَبْشِرْ بِجَزْرَةٍ سَمِينَةٍ:** أي شاة صالحة لأن تجُرّر وتُذبح للأكل.

[59]- الواقدي، محمد بن عمر، **المغازي**: 461/2.

[60]- خطاب، محمود شيث، **دروس في الكتمان**، الرسول القائد، العسكرية العربية الإسلامية: عقيدة، وتاريخاً، وقادة، وتراثاً، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان: 235.

[61]- ابن كثير، اسماعيل بن عمر، 1395هـ 1976م، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان: 214/3.

[62]-ابن الحجاج، **مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، برقم: **3349**.

مَحْبُوسَيْنِ فِي بَيْتٍ لَا سَقْفَ لَهُ؟ فَلَمَّا أَمْسَى تَسَوَّرَ عَلَيْهِمَا، ثُمَّ أَخَذَ مَرْوة [63] فَوَضَعَهَا تحتَ قَيْدَيْهِمَا، ثُمَّ ضَرَبَهُمَا بِسَيْفِهِ فَقَطَعَهُمَا، فَكَانَ يُقَالُ لِسَيْفِهِ: "ذُو المرْوة" لِذَلِكَ، ثُمَّ حَمَلَهُمَا عَلَى بَعِيرِهِ، وَسَاقَ بِهِمَا، فَعَثَرَ فدَميت إصبُعه، فَقَالَ:

هَلْ أنتِ إلَّا إصبعٌ دَمَيْتِ وَفِي سبيلِ اللهِ مَا لَقيتِ

ثُمَّ قَدِمَ بِهِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ"[64].

ومن هذه المهمات إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم مفرزة من الخيالة لإيقاف المرأة التي أرسل معها حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى زعماء قريش محذراً إياهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقصدهم ويتهيأ لفتح مكة، فجعلت المرأة الكتاب في رأسها، وفتلت عليه جدائلها، فلما وصل خبر الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق الوحي، أرسل هذه المفرزة بقيادة علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما، وقال: "ائْتُوا رَوْضَةَ خَاخ[65]، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنْهَا"[66] ويشير أبو داود إلى أن تعليمات الرسول صلى الله عليه وسلم تضمنت قتل المرأة في حال رفضها تسليم الكتاب، وقد استطاعت هذه المفرزة أن تصل إلى روضة خاخ، التي حددها الرسول صلى الله عليه وسلم بأن المكان التي تتواجد فيه المرأة ورحلها، في طريقها إلى مكة، حيث تم إيقافها، وطلب منها تسليم الكتاب الذي بحوزتها، وقد أنكرت في البداية، فقاموا بتفتيشها، إلا أنهم لم يعثروا على شيء، الأمر الذي دفعهم إلى تهديدها " فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَتُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا"، حينئذ تركت وشأنها حسب أوامر النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عادت المفرزة إلى المدينة.

وعلى إثرها قام النبي صلى الله عليه وسلم باستدعاء حاطب، وسأله عن سبب تصرفه هذا، وكان جواب حاطب بأنه مؤمن بالله ورسوله، ولكنه أراد أن يحفظ له أهل مكة أهله وولده، لأنه لم يكن في قريش، وقد صدَّق الرسول قوله، وقال قولته المشهورة: "وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"[67].

ومن هذه المهمات مهمة قتل كعب بن الأشرف، وقد جاء خبر الحكاية مفصلاً في الصحيحين، نسوقه كاملاً لأهميته:

عن عمرو، سمعت جابراً يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ»، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قال: «نَعَمْ»، قَالَ: ائْذَنْ لِي، فَلْأَقُلْ، قَالَ: «قُلْ»، فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: وَذَكَرَ مَا بَيْنَهُمَا، وَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَرَادَ صَدَقَةً، وَقَدْ عَنَّانَا، فَلَمَّا سَمِعَهُ قَالَ: وَأَيْضًا وَاللهِ، لَتَمَلُّنَّهُ، قَالَ: إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ الْآنَ، وَنَكْرَهُ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ أَمْرُهُ، قَالَ: وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تُسْلِفَنِي سَلَفًا، قَالَ: فَمَا تَرْهَنُنِي؟ قَالَ: مَا تُرِيدُ؟ قَالَ: تَرْهَنُنِي نِسَاءَكُمْ، قَالَ: أَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ، أَنَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا؟ قَالَ لَهُ: تَرْهَنُونِي أَوْلَادَكُمْ، قَالَ: يُسَبُّ ابْنُ أَحَدِنَا، فَيُقَالُ: رُهِنَ فِي وَسْقَيْنِ مِنْ تَمْرٍ، وَلَكِنْ نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ - يَعْنِي السِّلَاحَ -، قَالَ: فَنَعَمْ، وَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْحَارِثِ، وَأَبِي عَبْسِ بْنِ جَبْرٍ، وَعَبَّادِ بْنِ بِشْرٍ، قَالَ: فَجَاءُوا فَدَعَوْهُ لَيْلًا فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ، قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ غَيْرُ عَمْرٍو: قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: إِنِّي لَأَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ صَوْتُ دَمٍ، قَالَ: إِنَّمَا هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَرَضِيعُهُ، وَأَبُو نَائِلَةَ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ لَيْلًا لَأَجَابَ، قَالَ مُحَمَّدٌ: إِنِّي إِذَا جَاءَ، فَسَوْفَ أَمُدُّ يَدِي إِلَى رَأْسِهِ، فَإِذَا اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَدُونَكُمْ، قَالَ: فَلَمَّا نَزَلَ نَزَلَ وَهُوَ مُتَوَشِّحٌ، فَقَالُوا: نَجِدُ مِنْكَ رِيحَ الطِّيبِ، قَالَ: نَعَمْ تَحْتِي فُلَانَةُ هِيَ أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ، قَالَ: فَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ مِنْهُ، قَالَ: نَعَمْ فَشُمَّ، فَتَنَاوَلَ فَشَمَّ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَعُودَ، قَالَ: فَاسْتَمْكَنَ مِنْ رَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: دُونَكُمْ، قَالَ: فَقَتَلُوهُ"[68].

---

[63]- **المرو**: حجارة بيضٌ بَرَّاقة تكون فيها النار وتُقْدَح منها النار.

[64]- ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة: 86/2.

[65]- **روضة خاخ**: موضع بين الحرمين، ويقال له روضة خاخ، بقرب حمراء الأسد من المدينة. [ياقوت الحموي، معجم البلدان: 335/2].

[66]- رواه **مسلم** في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر، حديث رقم: 4677.

[67]- **متفق عليه**، واللفظ لمسلم.

[68]- ابن الحجاج، **مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود، حديث رقم: 1801.

فالأمر بقتل عدو الله كعب بن الأشرف، فيه دلالة واضحة على أن هذا الطاغوت، كان قد شكل خطراً كبيراً على أمن وحياة قائد الدعوة عليه الصلاة والسلام، من خلال تأليبه وتحريضه، ودعمه المعنوي والمادي، للقبائل العربية ضد النبي صلى الله عليه وسلم.

والجدير ذكره هنا، أن محمد بن مسلمة رضي الله عنه، حينما انتدب نفسه لتنفيذ المهمة، وضع القيادة في صورة مخطط التنفيذ للحصول على المصادقة والمباركة النبوية لإجراءات التنفيذ، فهو الشخص الوحيد القادر على اصطياد الهدف بهذا المخطط، فتجلت حكمة القيادة بمباركة المخطط والدعاء له.

أما المخطط الذي نفذه الصحابي محمد بن مسلمة رضي الله عنه، فكان دقيقاً محكماً، مناسباً لنوع المهمة، فقد انتحل شخصية عدائية للنبي صلى الله عليه وسلم، واستطاع من خلالها التمويه والتضليل على عدو الله كعب بن الأشرف، ليسلم رأسه بكل يسر وسهولة، لسيف محمد بن مسلمة رضي الله عنه، لينهي هذا القائد العظيم، حياة طاغية من طواغيت اليهود، حرَّضت وآذت ودعمت حرب النبي صلى الله عليه وسلم.

فالكذب والاحتيال على العدو من أكثر الأساليب خطورة ودقة، لأنه يعتمد على مهنية عالية في اختراق صفوف العدو، والسيطرة التامة على المشاعر والعواطف النفسية، أثناء عملية التنفيذ، فالصحابي الجليل محمد بن مسلمة رضي الله عنه، حين انتحل شخصية محببة لنفس عدو الله كعب بن الأشرف، ليتقرب إليه، فقد استطاع من خلال أسلوب الكذب والاحتيال والتغرير، أن يتمكَّن منه بيسر وسهولة ليجهز عليه، ولا يذهبنَّ بكم الوهم إلى أن الكذب هنا لا يجوز، فالكذب والحيلة في الحرب هي من الخداع الجائز شرعاً ضد العدو، والحرب خدعة، قال ابن حجر: "قوله فائذن لي أن أقول شيئًا، قال: قل. كأنه استأذنه أن يفتعل شيئًا يحتال به، ومن ثم بوَّبَ عليه المصنِّف: الكذب في الحرب"[69].

ومنها أيضاً مهمة قتل سفيان بن خالد الهذلي والقضاء على فتنته، فعن ابن عبد الله بن أنيس، عن أبيه قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ خَالِدَ بْنَ سُفْيَانَ بْنِ نُبَيْحٍ الْهُذَلِيَّ يَجْمَعُ لِيَ النَّاسَ ليغزوني وهو بعرنة فائْتِهِ فَاقْتُلْهُ».

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ انْعَتْهُ لِي، حَتَّى أَعْرِفَهُ.

قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ قُشَعْرِيرَةً».

قَالَ: فَخَرَجْتُ مُتَوَشِّحًا سَيْفِي، حَتَّى وَقَعْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ بِعُرَنَةَ مَعَ ظُعُنٍ يَرْتَادُ لَهُنَّ مَنْزِلًا، وَحِينَ كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ وَجَدْتُ مَا وَصَفَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْقُشَعْرِيرَةِ، فَأَقْبَلْتُ نَحْوَهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُجَاوَلَةٌ[70] تَشْغَلُنِي عَنِ الصَّلَاةِ، فَصَلَّيْتُ وَأَنَا أَمْشِي نَحْوَهُ، أُومِئُ بِرَأْسِي لِلرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ قَالَ: مَنِ الرَّجل؟ قُلْتُ: رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ سَمِعَ بِكَ وَبِجَمْعِكَ لِهَذَا الرَّجُلِ، فَجَاءَكَ لِذَلِكَ.

قَالَ: أَجَلْ إِنَّا فِي ذَلِكَ، قَالَ فَمَشَيْتُ مَعَهُ شَيْئًا، حَتَّى إِذَا أَمْكَنَنِي، حَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ حَتَّى قَتَلْتُهُ، ثُمَّ خَرَجْتُ وَتَرَكْتُ ظَعَائِنَهُ مُكِبَّاتٍ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَآنِي قَالَ: «أَفْلَحَ الْوَجْهُ» قَالَ: قُلْتُ: قَتَلْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «صَدَقْتَ»[71].

ومنها مهمة قتل سلام بن أبي الحُقَيْق الشهير بأبي رافع، فإنه كان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من الذين حزبوا الأحزاب، ورحلوا إلى قريش لجمع الأحزاب في غزوة الخندق، وإلى قبائل غطفان، وكان يمدهم بالمال، ويعدهم به، يموّل عملية غزو المدينة.

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيِّ رِجَالًا مِنْ الْأَنْصَارِ فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيكٍ وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُعِينُ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ وَقَدْ غَرَبَتْ الشَّمْسُ وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرْحِهِمْ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِأَصْحَابِهِ: اجْلِسُوا مَكَانَكُمْ فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَّابِ لَعَلِّي أَنْ أَدْخُلَ، فَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنْ الْبَابِ ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ فَهَتَفَ بِهِ الْبَوَّابُ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ الْبَابَ، فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ الْبَابَ، ثُمَّ عَلَّقَ الْأَغَالِيقَ عَلَى وَتَدٍ، قَالَ فَقُمْتُ إِلَى

---

[69]- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق : محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت: 338/7.

[70]- **مُجَاوَلَةٌ**: أي مطاردة.

[71]- ابن كثير، اسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**: 160/4.

الْأَقَالِيدِ فَأَخَذْتُهَا فَفَتَحْتُ الْبَابَ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُسْمَرُ عِنْدَهُ، وَكَانَ فِي عَلَالِيَّ لَهُ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ؛ صَعِدْتُ إِلَيْهِ فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَابًا أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ، قُلْتُ: إِنْ الْقَوْمُ نَذِرُوا بِي لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسْطَ عِيَالِهِ لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنْ الْبَيْتِ فَقُلْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وَأَنَا دَهِشٌ فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا وَصَاحَ، فَخَرَجْتُ مِنْ الْبَيْتِ فَأَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ؟ فَقَالَ لِأُمِّكَ الْوَيْلُ، إِنَّ رَجُلًا فِي الْبَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلُ بِالسَّيْفِ، قَالَ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ وَلَمْ أَقْتُلْهُ ثُمَّ وَضَعْتُ ظِبَةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ، فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الْأَبْوَابَ بَابًا بَابًا حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَهُ فَوَضَعْتُ رِجْلِي وَأَنَا أُرَى أَنِّي قَدْ انْتَهَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ فَانْكَسَرَتْ سَاقِي فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى الْبَابِ فَقُلْتُ: لَا أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ أَقَتَلْتُهُ؟ فَلَمَّا صَاحَ الدِّيكُ قَامَ النَّاعِي عَلَى السُّورِ فَقَالَ: أَنْعَى أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الْحِجَازِ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَقُلْتُ: النَّجَاءَ فَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ أَبَا رَافِعٍ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: ابْسُطْ رِجْلَكَ، فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ "[72].

ومن "أبرز المستجدات التي واجهت النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة؛ المنافقون (الطابور الخامس) الأمر الذي تطلب وضع استراتيجية خاصة للتعامل معهم، فقد قام هذا الطابور الخامس بعدة مواقف منها التخذيل عن الجهاد في غزوة أحُد"[73] حيث رجع رأس المنافقين بثلث الجيش، وكذلك في غزوة الأحزاب حيث قاموا علاوة على التخذيل؛ العمل على إضعاف الروح المعنوية للمسلمين، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فقال: ﴿**وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّـهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا**﴾ [الأحزاب:12].

وامتدَّ هذا التخذيل حتى غزوة تبوك، إذ قام المنافقون بتثبيط الهمم عن الخروج إلى الغزو في الصيف، وأشار القرآن إلى قولهم بقوله: ﴿**وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ**﴾ [التوبة:81]، وقد كافح جهاز المخابرات النبوي هذا التخذيل وقاومه وحاصره.

ولم يكتفِ المنافقون بذلك، بل تعدى الأمر إلى التنسيق الوثيق مع اليهود والتآمر معهم ضد الدولة الإسلامية، وظهر ذلك واضحاً في غزوة بني النضير، وما حدث في غزوة بني قينقاع من قِبَل رأس النفاق.

ثم ابتكر المنافقون أسلوباً جديداً بإعلان الحرب الاقتصادية حتى قال رأس المنافقين كما وثقه القرآن: ﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّـهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا**﴾ [المنافقون:7] أي حتى ينفض الناس من حول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولم يقتصر دورهم على الحرب الاقتصادية بل لجأوا إلى أسلوب مبتكر، إذ قاموا بإنشاء مقرٍّ لهم لتحاك فيه المؤامرات ضد الدولة الإسلامية، فاتخذوا لذلك المقر السري غطاء تمثَّلَ في اتخاذ مسجد عُرف بمسجد ضِرار، فكان الرد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمر بحرق ذاك المسجد، وقد أشار القرآن إليه بقوله: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّـهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ [التوبة:107].

ثم سلك الطابور الخامس أسلوباً خسيساً إذ باتوا يستغلون الأحداث والظروف للإيقاع بين المسلمين، من ذلك ما حدث في غزوة بني المصطلق، عندما حدث شجار بسيط بين أحد المهاجرين وأحد الأنصار، فحاول رأس المنافقين استغلال الظروف لإثارة النعرات العصبية والقبلية، قال جابر رضي الله عنه "غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا وَكَانَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ، فَكَسَعَ[74] أَنْصَارِيًّا فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ، فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى

72- **البخاري**، محمد بن اسماعيل، كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق: 3843.

73- محمد أحمد، إبراهيم علي، **فقه الأمن والمخابرات**: 23.

74- **كَسَعَ**: أي ضرب دُبُرَه بيده أو بصدر قدمه.

الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَبِيثَ، لِعَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ"[75].

ففي هذا الحديث دليل صريح على أن عيناً من العيون السرية الداخلية، قامت بمهمة نقل الخبر للنبي صلى الله عليه وسلم، لاتخاذ التدابير اللازمة لمعالجة الموقف.

وكذلك استغلَّ المنافقون حادث تخلُّف أمِّنا عائشة رضي الله عنها فيما عرف بحادثة الإفك.

ومن الأساليب الخسيسة التي اتبعها المنافقون التجسس على المسلمين لصالح عدوّهم كما وقع في غزوة خيبر، "فقد أرسل رأس المنافقين عبدالله بن أُبَي إلى يهود خيبر: إن محمدًا قصد قصدكم، وتوجَّه إليكم، فخذوا حِذْركم، ولا تخافوا منه؛ فإن عددكم وعدتكم كثيرة، وقوم محمد شرذمة قليلون عزَّل، لا سلاح معهم إلا قليل، فلما علم ذلك أهل خيبر، أرسلوا كنانة بن أبي الحقيق، وهَوْذَة بن قيس إلى غطفان يستمدُّونهم؛ لأنهم كانوا حلفاء يهود خيبر، ومظاهرين لهم على المسلمين، وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر إن هم غلبوا المسلمين"[76].

ولم يكن الطابور الخامس مقتصراً على المنافقين، بل كان معهم اليهود الذين قاموا بأعمال وممارسات لا تقل عما قام به المنافقون، فقد قاموا بالتشكيك في الإسلام، والتشكيك في الرسول ورسالته، واستغلوا حادثة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة لإثارة الشكوك والبلبلة، وسلكوا أسلوب الحوار والمجادلة، من صور التشكيك غير المباشر إيمان اليهود أول النهار والكفر آخره، وقد ذكر القرآن الكريم هذا فقال: ﴿**وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [آل عمران:72].

ومن صور التشكيك غير المباشر أيضاً إنكارهم نزول كتاب بعد موسى عليه السلام، وبالتالي ينكرون بطريقة غير مباشرة نزول القرآن الكريم لأنه نزل بعد موسى عليه السلام.

ومن أخطر الأساليب الماكرة التي قام بها اليهود محاولتهم اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم وذلك بإلقاء الصخرة عليه، ولكنها فشلت، "قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، اللَّذَيْنِ قَتَلَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، لِلْجِوَارِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَدَ لَهُمَا، كَمَا حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ، وَكَانَ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وَبَيْنَ بَنِي عَامِرٍ عَقْدٌ وَحِلْفٌ.

فَلَمَّا أَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ، قَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، نُعِينُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ، مِمَّا اسْتَعَنْتَ بِنَا عَلَيْهِ. ثُمَّ خَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا الرَّجُلَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ هَذِهِ- وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَنْبِ جِدَارٍ مِنْ بُيُوتِهِمْ قَاعِدٌ- فَمَنْ رَجُلٌ يَعْلُو عَلَى هَذَا الْبَيْتِ، فَيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً، فَيُرِيحُنَا مِنْهُ؟ فَانْتَدَبَ لِذَلِكَ عَمْرُو بْنُ جَحَّاشِ بْنِ كَعْبٍ أَحَدَهُمْ، فَقَالَ: أَنَا لِذَلِكَ، فَصَعِدَ لِيُلْقِيَ عَلَيْهِ صَخْرَةً كَمَا قَالَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ، فَقَامَ وَخَرَجَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ"[77].

وبعد فشلهم حاولوا مرة ثانية اغتياله فدفعوا لتنفيذ هذه الجريمة الشنعاء امرأة يهودية منهم اسمها زينب بنت الحارث، عن طريق دسّ السُّمّ في ذراع الشاة في غزوة خيبر، وكانت قد سألت أي عضو من الشاة أحب إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فقيل لها الذراع، فلاكَ منها مضغة فلم يسغها ولفظها، ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها فأساغها فمات بشر، وعانى النبي صلى الله عليه وسلم من هذه اللقمة، وظل يشتكي منها حتى لحظة وفاته.

قال ابن هشام: "فَلَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْدَتْ لَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ، امْرَأَةُ سَلَّامِ بْنِ مِشْكَمٍ، شَاةً مَصْلِيَّةً، وَقَدْ سَأَلَتْ أَيَّ عُضْوٍ مِنْ الشَّاةِ أَحَبُّ إلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقِيلَ لَهَا: الذِّرَاعُ، فَأَكْثَرَتْ فِيهَا مِنْ السُّمِّ، ثُمَّ سَمَّتْ سَائِرَ الشَّاةِ، ثُمَّ جَاءَتْ بِهَا، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَنَاوَلَ الذِّرَاعَ، فَلَاكَ مِنْهَا مُضْغَةً، فَلَمْ يُسِغْهَا، وَمَعَهُ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا

---

[75]- **البخاري**، محمد بن اسماعيل، كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوة الجاهلية، الحديث برقم: 3330.

[76]- المباركفوري، صفي الرحمن، **الرحيق المختوم**، دار الهلال، بيروت، الطبعة الأولى: 334.

[77]- ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية**: 190/2.

كَمَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا بِشْرٌ فَأَسَاغَهَا، وَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَفَظَهَا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْعَظْمَ لَيُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ، ثُمَّ دَعَا بِهَا، فَاعْتَرَفَتْ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكِ؟ قَالَ: بَلَغْتَ مِنْ قَوْمِي مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: إِنْ كَانَ مَلِكًا اسْتَرَحْتُ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا فَسَيُخْبَرُ، قَالَ: فَتَجَاوَزَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَاتَ بِشْرٌ مِنْ أَكْلَتِهِ الَّتِي أَكَلَ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مَرْوَانُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، وَدَخَلَتْ أُمُّ بِشْرٍ بِنْتُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ تَعُودُهُ: يَا أُمَّ بِشْرٍ، إِنَّ هَذَا الْأَوَانَ وَجَدْتُ فِيهِ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي[78] مِنْ الْأَكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ مَعَ أَخِيكَ بِخَيْبَرَ"[79].

ومن أساليب اليهود الخسيسة إثارة الفتن بين الأوس والخزرج، إلى جانب إيوائهم للمنافقين، وأمرهم لبعض الأنصار بالبخل.

ومن الأمور الخطيرة التي قام بها اليهود ما قاموا به من نشاط عسكري لمجابهة الدولة الإسلامية والانقضاض عليها، وقد كان لهم دور بارز في غزوة الأحزاب، ومعلوم ما تم فيها من خيانة بني قريظة من نقض للعهد الذي كان مبرماً بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكذلك ممارسة اليهود للحرب النفسية ضد جيش المسلمين، وكان نتائج ذلك أن تمَّ إنهاء الوجود اليهودي في المدينة المنورة.

وقد كان جلاؤهم عن المدينة متدرجاً إذ كان أول المغادرين من اليهود بنو قينقاع الذي غدروا ونقضوا العهود، فتم طردهم، ثم تلاهم بنو النضير الذين غدروا وحاولوا اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم فكان نتاج ذلك جلاؤهم من المدينة، وآخرهم بنو قريظة الذين اقترفوا الجناية العظمى فكان حكم الله فيهم قتل الرجال وسبي الأطفال والنساء، وبهذا تطهرت المدينة من العدو الأكبر من أفراد الطابور الخامس من اليهود.

من خلال هذا السرد لتاريخ ظهور المهارات الأمنية والاستخبارية في الفترتين المكية والمدينة يتجلى لنا أن المهارات الأمنية والاستخبارية لم تكن غائبة أبداً خلال هاتين الفترتين من تاريخ الإسلام، ويكاد يشعر بها القارئ إحساساً في كل حركة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في حله وترحاله، وفي حرْبه وسِلْمِه.

الخاتمة:

هذه المهارات الأمنية مَعين لا ينضب لكل باحث ومنقب في مجال الأمن وفقه المخابرات، وهي مادة خام تحتاج إلى إخراج وتشكيل وفق معطيات ومصطلحات علم الأمن والمخابرات الحديثة والمعاصرة.

والسيرة النبوية المطهرة أظهرت أن الإسلام اهتم بالجانب الأمني لدى الفرد والمجتمع؛ اهتمامه بالقيم والأخلاق التي خرَّجت رعيلاً قامت على كواهلهم دولة الإسلام، فالقرآن الكريم والسنة المطهرة وسيرة المصطفى العطرة حملت في جذورها مبادئ الأمن الذي ساعد المسلمين على مرّ العصور الاستفادة من هذه المبادئ وتطويرها بما يوازي كل عصر.

أهم النتائج التي توصل إليها البحث هي:

1- أن المخابرات في الإسلام قديمة قدم الإسلام نفسه إذ ظهرت مع ظهوره، فمع أول بزوغ شمس الرسالة ظهرت في سرية وتكتم، ثم لجأ النبي صلى الله عليه وسلم إلى أساليب مبتكرة.

2- أن الأمن يعني ما به يطمئن الناس على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

3- أن الإسلام حرص على الفرد والجماعة، وذلك من خلال التخطيط الأمني الاستراتيجي والذي يتوجب الأخذ به في حالتي السلم والحرب.

---

[78]- **أَبْهَرِي**: بفتح الهاء ولفظ رواية البخاري فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري وهو عرق في الصلب أو في الذراع أو بباطن القلب تتشعب منه سائر الشرايين إذا انقطع مات صاحبه، يعني أنه نقض عليه سم الشاة المذكورة ليجمع إلى منصب النبوة مقام الشهادة ولا يفوته مكرمة، ولهذا كان ابن مسعود وغيره يقول: مات شهيداً من ذلك السم، وكان في حال حياته يثور عليه أحيانا ويكمن أحياناً

(**تنبيه**) ما ذكر من أن أبهري بلفظ الإفراد لكن رأيت في تذكرة المقريزي مضبوطاً بخطه أبهراي بالتثنية ثم قال: والأبهران: عرقان يخرجان من القلب تتشعب منهما الشرايين.

[79]- ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية**: 338/2.

4- أن الاسلام اهتم بإعداد المسلم على أفضل صورة، وأعلى درجة من الإعداد، على صعيد القوة النفسية والمعنوية مادياً وعسكرياً.
5- أن الإسلام اهتم بالقيادة والجند من خلال حمايتهم من أخطار العدو، وذلك من خلال تعيين حراسات خاصة مهمتها حماية القيادة، وحراسات حدودية تعمل على حماية أمن الوطن وجميع الأفراد من الجند والمواطنين.
6- أن الإسلام ابتكر بعض الوسائل والآليات التي لم يكن معروفاً لدى العرب من قبل، والتي تخدم أمن الدولة، وتفاجئ العدو بما لا يتوقعه، فابتكار الرسائل المكتومة، ومفاجأة العدو بالخندق وغير ذلك مما أذهل العدو وحطَّم معنوياته.
7- أن الأمن والمخابرات من الوسائل الشرعية (حرب الأدمغة) وأن الآليات الذهنية المرئية والمخفية والتي تأتي بالأخبار عن العدو مشروعة سواء في حال سلمها أو حربها.
8- أن النبي صلى الله عليه وسلم استخدم الأسلوب الأمثل الذي ناسب طبيعة المرحلة في التعامل مع المنافقين والعملاء من الطابور الخامس بعد التحري عنهم ورصد تحركاتهم وإفشال مؤامراتهم.
9- اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالجانب الاستخباري وتفوقه على الخصوم، حيث استطاع أن يرصد تحركات العدو ويكشف مخططاتهم ويفشلها باتخاذ الاجراءات الوقائية المباغتة.
10- زرع روح التضحية والفداء التي تمثلت في النماذج الفذة من الصحابة الكرام، مهما كانت درجة خطورته على حياتهم.

والحمد لله رب العالمين.

المراجع والمصادر:

1- الأيوبي، الهيثم وآخرون، 1977م، **الموسوعة العسكرية**، طبعة المؤسسات العربية للدراسات والنشر، بيروت.

2- الألوسي، محمود شكري، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

3- أبو ارشيد، ارشيد يوسف، 1426 هـ، **الحضارة الإسلامية (نظم- علوم -فنون)**، الطبعة الثانية، 1426هـ 2005م، الرياض، مكتبة العبيكان.

4- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 1409هـ - 1989م، دار الفكر، بيروت.

5- توزو، سان، **فن الحرب**، إعداد: عمر حليق، مؤسسة الحياة للتأليف والنشر، بيروت، 1969م.

6- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1968م.

7- الجهشياري، محمد بن عبدوس، **الوزراء والكتاب**، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1357هـ.

8- خطاب، محمود شيث، **دروس في الكتمان**، الرسول القائد، العسكرية العربية الإسلامية: عقيدة، وتاريخاً، وقادة، وتراثاً، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

9- خطاب، محمود شيث وغيره، دون تاريخ، **اقتباس النظام العسكري في عهد النبي صلى الله عليه وسلم**، مطابع قطر الوطنية بالدوحة، قطر.

10- دافيدكان، **الاستخبارات**، ترجمة عبد اللطيف أفيوني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982م.

11- ساكر، هاري، **عظمة بابل**، ترجمة عامر سليمان إبراهيم، دار الكتب، الموصل، 1979م.

12- ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى**، الطبعة الأولى 1968م، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

13- أبو شامة، عبد الرحمن بن اسماعيل،1418هـ 1997م، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

14- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **تاريخ الرسل والملوك**، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1939م.

15- الطبري، محمد بن جرير، الطبعة الثانية 1387هـ، **تاريخ الرسل والملوك**، بيروت، دار التراث.

16- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر.

17- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق : محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

18- فارس، أحمد، الطبعة الثانية 1420هـ 1999م، **معجم مقاييس اللغة**، دار الجيل، بيروت، لبنان.

19- أبو فارس، محمد عبد القادر، 1413هـ 1993م، **المدرسة النبوية العسكرية**، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى.

20- فرحات، كرم حلمي،1428هـ 2007م ، **تاريخ المخابرات الإسلامية عبر العصور**، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الأولى.

21- ابن كثير، اسماعيل بن عمر، الطبعة الأولى، 1408هـ 1988م، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي.

22- ابن كثير، اسماعيل بن عمر، 1395هـ 1976م، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان.

23- الكيالي، عبد الوهاب وآخرون، دون تاريخ، **موسوعة السياسية**، دار الهدى للنشر والتوزيع.

24- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، 1414هـ 1994م، طباعة ذات السلاسل، الكويت.

25- المباركفوري، صفي الرحمن، **الرحيق المختوم**، دار الهلال، بيروت، الطبعة الأولى.

26- محسن، حسين، **الطريق إلى جماعة المسلمين**، الطبعة الرابعة، 1410هـ، دار الوفاء، المنصورة.

27- محفوظ، محمد جمال، الطبعة الثانية 1976م، **المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية**، دار الاعتصام.

28- محمد أحمد، إبراهيم علي، 1427هـ 2006م، **فقه الأمن والمخابرات**، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، 1427هـ 2006م.

29- ابن هشام، عبد الملك، 1375هـ 1955م، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وغيره، القاهرة، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده.

30- ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة.

31- الواقدي، محمد بن عمر، الطبعة الثالثة 1998هـ 1409م، **المغازي**، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت.

.